ديوان العرب تقدم لكم

ثورة الملائكة
رواية

أحمد محمد زغب

I

من الحب ما قتل

الأمة التي تقدس الموت لا تستحق الحياة.

بين الجبال الشاهقة الجرداء التي تمتزج زرقتها بزرقة السماء ، تجثم القرية مترامية البيوت بين الحقول الخضراء تظللها أشجار الصنوبر والعرعار والصفصاف .يقبع الشيخ عبد الودود في تكيته التي يتخذها مأوى ومكتبة للمطالعة ومكان عمل.الكتب متراصة في غير نظام على الرفوف الخشبية العتيقة.سحر الكهان في استحضار ملوك الجان .الجواهر اللماعة في استحضار ملوك الجن في الوقت والساعة، وغير ذلك كثير من العناوين التي تزكم الأنوف بغبار كثيف يعلوها وتزكم العقول أيضا بغبار المعارف السحرية التي لم يعد لها وجود في الواقع.إلا أن الأمر في القرية النائمة له كلام آخر.

قال سويلم الزعروري للشيخ عبد الودود النايلي : يا نعم سيدي ما جزاء القطة التي تأكل أطفالها؟؟؟؟.

التفت الشيخ يمينا وشمالا كأنما يخشى شيئا ، ثم بصق على يساره وقال: - المسألة لا تتطلب إجابة مباشرة .

طأطأ الشيخ رأسه قليلا ثم استرسل في الكلام :

- القطة هي القطة ، أكلت صغارها أم ربتهم ، وسواء قتلتها أم تركتها ، فالأمر لا وزن له عندنا معشر الآدميين ، فهذا السؤال لو طرح على عالم القطط ، لكان له وزن واستحق التفكير فيه والإجابة عنه.

- أنت تعرف يا سيدي الشيخ أن القطة من حيث هي حيوان مدجن لا تعنينا في شيء قليل أو كثير، إنما القطة التي تعنينا تعرفها جيدا وتلك التي نسأل عنها.

" يجب أن ننظر للمسألة من عدة وجوه : الوجه الأول وجه القطة باعتبارها المشتكي ، والوجه الثاني القطة باعتبارها المشتكى إليه والوجه الثالث القطة باعتبارها المشتكى منه، قال أهل العلم إن المولى عز وجل حين أراد أن يخلق آدم عليه السلام ، اعترضت عليه الملائكة، لكن إرادة المولى عز وجل هي النافذة في كل الأحوال.

((قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون)).

مازال سويلم لم يستوعب العلاقة بين سؤاله ،عن القطة ، وبين مسألة خلق الإنسان واعتراض الملائكة، وظن بادئ الأمر أن الشيخ تهرب من السؤال ، لحساسيته عند أولي الحل والعقد .

غير أن الخبراء بروح الشيخ وأخلاقه ، يدركون أنه لم يسبق له أن تهرب من سؤال قط، إنما أجاب عن سؤاله في شيء من التلميح المقصود ، وقد يفهم السائل التلميح للوهلة الأولى ، لكن قد يكون خطيرا ، فيلزم أن يفهمه الجيل اللاحق ، تماما مثل كلام سيدي علي بالحفصي ، الذي يقوله في غموض لا يفهم من فوره ، لكن الأيام والسنوات القادمة تفسره.

كان سويلم قد تعلم في كتاب قريته ، حفظ نصف القرآن وكان ينوي حفظ النصف الآخر ، لكن أباه أخذه إلى مدرسة في القرية المجاورة حيث الكتاب بعيد ، لا يستطيع الوصول إليه كل يوم ، فكان يكتفي بزيارة الشيخ عبد الودود كل يوم جمعة،يخرج الشيخ في حاجة من حاجاته ويترك سويلم في الخلوة يكرر ما حفظه في بحر الأسبوع المنصرم ، لكن سويلم ينتبه إلى بعض الأشياء في صندوق صغير، كميات من مواد متحجرة ، وعقاقير عرف بعضها وجهل أكثرها، وأوراق دفعه الفضول للاطلاع على بعض الأشياء ، فرأى عجبا ،حركة سحرية تنقلك إلى عوالم عجيبة لا تخطر على بال أوسع الناس خيالا.سمكة تتحول إلى سفينة تنقلك في طرفة عين إلى جزيرة في عمق البحر، يحكمها زعيم ملوك الجان.

ورقة صفراء دونت عليها ملاحظات عن الجوانب تتعلق بالملك وحاشيته، وملاحظات أخرى عن بعض الممنوعات في معاملات الجن، وجوانب أخرى تتعلق بتاريخهم.عنوان كبير في وسط الصفحة الملائكة الذين مسخوا إلى جن فسقوا عن أمر ربهم.

عاد الشيخ عبد الودود إلى خلوته ، وقد باغت تلميذه سويلم يتأمل في المحظور، حدجه بنظرة قاسية وهو يقول : ((من الحب ما قتل)). تاب سويلم إلى شيخه واستسمحه قائلا لم أدرك العلاقة بين القطة وبين الملائكة الذين فسقوا عن أمر ربهم ...قال : الشيخ : بنبرة قاسية :

- الأمة التي تقدس الموت لا تستحق الحياة.....

دخل سويلم في حيرة أكبر، ما كاد يظن أنه بدأ يمسك بطرف الخيط حتى انفلت منه ولم يعد يرى عن أي خيط يبحث .

تذكر سويلم حين كان يسير في شارع كبير بالمدينة تفتح فيه دكاكين عديدة ، بعضها يبيع الفول السوداني والسجائر للشباب ، وبذور عباد الشمس، وبعض الصور المغرية للفنانين بعضها لنساء شبه عاريات، لا تهدئ فورة الشباب بقدر ما تثيرها وتجعلهم يفكرون دوما في المحظورات. دكاكين تنبعث منها أغان صاخبة، دكاكين أخرى تنبعث منها رائحة تزكم الأنوف لعقاقير، بعضها يدخل في العلاج وبعضها في تطييب الطعام وبعضها في أغراض قد تكون مشبوهة..

- ليتني أعرف ما الذي يعجب شيخي في هذا السوق حتى آخذ له هدية؟.
- هل تعني رشوة؟؟؟

هكذا أجابه الدرويش البهلول رابح الذي يلبس أسمالا بالية بعضها فوق بعض بطريقة تدعو للشفقة والسخرية، ويعلق على رقبته حبلا يخترق مجموعة من العلب المعدنية تحدث شكشكة كلما تنقل بين الشوارع ، ورآه الصبية ورموه بالحجارة ، ينتظرون أن يسمعوا رجلا كبيرا يقول كلام الصبيان: أمّك ال....!!!!

فيضحكون ثم ينصرفون خوفا من الكبار العاقلين ... غير الدراويش أو على الأقل الذين تنتهي دروشتهم عند حدود المعرفة..أو نوع معين من أنواع المعرفة..

- بل إن الهديّة تجعل الحب ممكنا بين القلوب تهادوا تحابوا كلام الرسول (ص).
- كلام فارغ الحب الحقيقي لا يحتاج إلى هدية .
- حقا إنك لمجنون ..تعترض على كلام النبي..
- النبي مات يا مهبول هذا كلامك أنت...
- أنا المهبول...أيّنا المهبول؟؟؟
- كلنا مهابيل يا مسكين ...الحب الذي يحتاج إلى هدية هو الحب القاتل..
- الحب القاتل يحتاج إلى تضحية ...التضحية من أجل الوطن...

لم يشتر سويلم أية هدية لشيخه ربما تأثر بكلام المهبول..غير أن شيئا هاما لفت انتباهه القهوة آه لقد وجدتها!! .

تذكر سويلم العبارة التي تفوه بها شيخه حين باغته يتأمل في المحظور: ((من الحب ما قتل))،أخذ يفكر بينه وبين نفسه ..كيف تواردت الخواطر بين الشيخ وهذا الرجل المهبول؟ ثم قال لشيخه لقد أحضرت لك البن الذي تحبه (القهوة الشاذلية)وهي التي تساعدك على السهر وقراءة الكتب التي بين يديك .

- القهوة إن رائحتها تنعش القلوب إياك.. إياك.. من قهوة أخرى.
- لقد كاد ذلك المجنون أن يصرفني عن شرائها..
- حذار لا تقل عنه مجنونا هو مجذوب بأهل الله ..مسكين..لعله الوحيد الذي يستطيع أن يجيبك عن سؤالك الملحاح عن القطة التي أكلت أطفالها إجابة مباشرة من دون مواربة.

II

جزيرة بونوزا....

لو صبر القاتل على المقتول لسقط المقتول من تلقاء نفسه مثل شعبي مصري

استيقظ سويلم من نومه مذعورا لهول ما رأى، كان في السفينة التي كانت سمكة تبحر به في عمق بحر الظلمات وتنزل به ضيفا على جزيرة غريبة الشكل والمحتوى، أبنية لا تستطيع أن تعرف ما إن كانت من صفيح أو من طوب أو من جبس أو من جلد وورق، أشجار غير معروفة الأصل ولا النوع،الناس يتراقصون كأنهم مجانين ، ينتظرون العفريت الجديد عله يسمح لهم بدخول الجنة ،

- لم أفهم شيئا مما تقولون، نحن نعمل الخير في الدنيا بهدف دخول الجنة يوم القيامة بعد أن نموت .

هكذا كان الزعروري يحدث الشيخ بولرباح الذي تعجب من صنيعه وهو يغرف التراب بكلتا يديه من موضع حتى إذا أصبح حفرة عميقة أخذ يعيد إليها التراب. ثم يأخذ في تكرار العمل الذي بدأه من جديد وهكذا....كما تعجب من سلوك أهل الجزيرة .

- المشكلة يا سي سويلم أننا – فعلا- عملنا الخير ، لكن حين تخلت عنا الملائكة ،حلّت بنا لعنة العفاريت ،فلا نحن من أهل النار ولا من أهل الجنة ، فنحن ننتظر كلما مضى عفريت ننتظر أن يأتي عفريت جديد لعله يسمح لنا بدخول الجنة، المشكلة أنهم يعترفون بأننا قتلنا ظلما لكنهم يأبون أن يسمحوا لنا بدخول الجنة لخلاف بينهم أو مكابرة،فالمشكلة كبيرة أكبر من مجرد السماح لنا بدخول الجنة ، فالعفاريت يحكمون بالعدل بين الرعية ، لكنهم يرفضون أن يتفاهموا فيما بينهم في قضيتنا فلو جاء أحد منهم وقال فينا كلمة حق ،

تـنهض لـه مجـموعـة مـن الـعفاريـت ويـتهمونـه فـي عـرضـه وإخلاصه للوطن وربما اتهموه بالخيانة، المشكلة أن كلا منهم لو سألته على انفراد لاعترف لك بأننا مظلومون ببقائنا على هذه الحال،

- مـازلـت لـم أفـهم شـيئا ...لـماذا تتخـلى عـنكم المـلائـكة ... ولـم تـدخـلون الـجنة وانـتم لا تـزالـون على قيد الـحياة ولـم يـحكمكم عفاريت؟ ولم لا تنتخبون إنسيا من بني جلدتكم ؟
- نـحن أمـوات مـن يـوم أن تـخلت عـنا المـلائـكة ..ونـنتظر الـحساب والعقاب،حتى يعرف كل منا مكانه من الجنة أو النار..
- أين الله ..أين الله الذي يحكم الدنيا والآخرة؟؟
- إنه عليم بذات الصدور يا زعروري إياك إياك التجديف..انظر إلى يمينك يا زعروري..

نظر الزعروري إلى يمينه فرأى بحيرة من الدماء يساق إليها نفر من الناس وهم يصرخون ...

- لم نخلط الدماء ...لم نخلط الدماء....!!!

على وقـع الصراخ انـتبه سـويـلم الزعروري مـن نـومـه فـوجـد أن صـراخـا فـي مـكان قـريـب ، صـراخ نـسوة ،عـلى رجـل مـات حـتف أنفه...

حوقل وبسمل وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. لم يسبق له أن رأى فـي نـومـه مـثل هـذه الرؤيـا، تـذكـر تـفاصـيلها وحـاول تـأويـلها ، لكنه لم يستطع أن يجد بصيصا يفك هذه الطلاسم فقرر أن يسأل فـي ذلك الشيخ عبد الودود..ولو أنه كان شبه متأكد من أنه سيقول كـالـعادة أضـغاث أحـلام يـا زعـروري أضـغاث أحـلام.. أضـغاث أحلام...

وصل الزعروري إلى الخلوة لكنه لم يكد يرى شيخه بسبب الدخان الكثيف الذي يسبغ الخلوة يلون أبيض فاقع كأنه أكداس قطن كومت بعضها فوق بعض لتغطي كل ما وراءها.

- أنت تفكر في أمور أكثر من حجمك يا زعروري، أمتنا الوحيدة التي تفتخر بالموت، بالقتل بين الأمم حين يفتخر السوادين بأنهم حصلوا على استقلالهم بالنضال السياسي ، السينيغال مثلا والتونسيون جيراننا كذلك ، فنحن نفتخر أمام الأمم بأنه مات منا مليون ونصف مليون شهيد.وبعضهم يعترض على هذا الرقم المهول ويحاول أن يرفعه إلى مليونين أو ثلاثة ..الحرية يجب أن يكون ثمنها غاليا...

أي حرية؟ أللأحياء أم للأموات؟؟؟ وأولئك الذين ماتوا في الفترة المسماة فترة الثورة ، ومفاتيح الجنة بأيدي العفاريت..أما العفاريت فهم الذين لم يوقعوا شهادة الاستشهاد..ولاشك أنك لو أثرت هذا الموضوع لدى أولي الحل والعقد فمصيرك سيكون قصر السركا.

لكن سويلم اعترض على شيخه ، وقلما كان يعترض، وخشية أن يتهمه شيخه بضعف الإيمان، كان يقترح إجابة أخرى ، ومن زاوية نظر مختلفة، لذلك قال لشيخه:

- ياسيدي الشيخ لقد ذهبت بعيدا في تأويلك لهذا الحلم ، أنا لم أفكر في المشبوهات والممنوعات والمحظورات التي لا تبيحها الضرورات، إنما رأيت حلما،وهل يختار الإنسان ما يراه أثناء نومه ، وإلا كنت رأيت نفسي في الجنة مع رسول الله !!!
- لو كنت محبا لرسول الله يا زعروري لرأيته فعلا..ألا تعلم أنني أصلي الفجر في صحن الكعبة كل يوم خلف رسول الله قبل أن استيقظ على صوت المؤذن الله أكبر.. الصلاة خير من النوم!!!!!!.

- الله أكبر الله أكبر...الولي يستر كراماته كما يستر عورته وها أن عورتك تطل من تحت البرنوس...وهل يستطيع كل من هب ودب أن يصبح بين عشية وضحاها وليا صالحا في مثل منزلتك عند الله ورسوله.
- اغرب عن وجهي يا زعروري .أغرب عن وجهي حتى..لا أفقد أعصابي وأحرمك صحبتي...

هكذا صاح الشيخ عبد الودود وهو يستشيط غضبا من تلميذه المطيع.

****

-III--

دمـــع الـــتمساح يؤســـس لـــلحضارة الجديدة .....

في حضارة الغيلان والخرفان تحمل المؤسسة الاسم الخالد بينما يقول غلغامش انا لست إلها

. كان رابح ولد حدّة العقونة ، يبحث في صندوق القمامة عن لقمة يقتات بها ، في هذا الحي يجد أحيانا لقمة دسمة، الأغنياء المتخمون لا يطبخون الطعام بقدر ما يأكلون، مثلما كانت تفعل حدة العقونة قبل أن تنتقل من هذه الدار التي تعبت فيها من مرارة العيش، سواء في حياة الشياطين أم في موت الملائكة .

اختلفت الأقوال في موتها فمنهم من قال إنها انتحرت، ومنهم من قال إنها قتلت ومنهم من قال إنها ماتت حتف أنفها، أما أجهزة الأمن فقد حفظت الملف وطوته إلى الأبد منذ اليوم الأول لوفاتها.

لكن رابحا لمح من بعيد سويلم فاختبأ تحت شجرة الصفصاف العتيقة ، إنها أقدم شجرة وأضخم شجرة في القرية ، يقال إنها غرست في يوم واحد مع شجرة الدردار الشهيرة ببيعة الأمير،خشي أن يراه سويلم ويوشي به لدى الشيخ عبد الودود.هؤلاء أدعياء التدين لا يتورعون عن الوشاية بالناس، لقد نهاه الشيخ عن جمع طعامه من القمامة ، لكنه كان مصرا، ولا يعلم احد غرضه من ذلك مع أن الشيخ كان يقدم له الطعام كلما زاره.

- أنت ابن شهيد ، وأمك أيضا تعتبر شهيدة ، فلم تبهدل نفسك ، فلابد من تكريمك . أن تأكل من القمامة فهذه إهانة للمجتمع برمته.هذا ما قاله الشيخ ذات يوم، وهو نفسه ما كرّره تلميذه سويلم الزعروري حرفيا هذا المساء، بعد أن كشفه حتى بعد أن ظن أن شجرة الصفصاف أخفته عن الأعين.

حدي العقونة ، لم تكن شهيدة لكن لم تكن عقونة أيضا، أنتم عقنتموها بأفعال الشياطين،فقدت النطق من هول ما رأت،يطلبون من

البنت أن تقطع لسان أبيها.ثم يقتلونه أمام عينيها ، وحين جلبوا زوجها مكبلا بالأغلال . صرخت صرخة واحدة فقدت إثرها النطق والسمع وحواس أخرى لا يعلمها إلا الله.

صرخ رابح في وجه سويلم..:

- أبي ليس شهيدا ، ولم يكن مجاهدا ، أبي قتل مظلوما..لا لشيء إلا لأنه رفض أن يسجد لصنم . تماما كما رفض صالح الحركاتي.
- صالح الحركاتي شهيد، وأبوك عند الله شهيد...إن أكبر مدرسة ابتدائية في القرية تسمى باسمه مدرسة الحاج محمد الأطرش ، أليس أبوك الحاج محمد الأطرش؟
- بل هو أبي ، لكنه ليس شهيدا .ولم يحمل يوما واحدا سلاحا في حياته ولا حتى سكينا..
- تماسيح يقتلون الميت ويسيرون وراء جنازته..
- لا علينا إن كنت تريد الطعام فتعال معي..عندي كسرة ولبن حامض وقليل من التمر يكفينا معا، وإلا فاذهب إلى الشيخ عبد الودود وتعش عنده.
- لقد شبعت والحمد لله على القمامة ، وأقول لك مع السلامة.
- الشيطان الأخرس!!!!!!!
- عليه اللعنة!!!
- أليس ساكتا على الحق؟؟
- ماذا تريد أن تقول يا بن العقونة؟؟؟
- ألم تسأله عن ثامزا؟؟ هل أخبرك ؟ أجبني أتحداك ؟؟
- ماذا تعني...؟ وما ثامزا؟؟؟
- التي أكلت أطفالها...
- تمهل تمهل يا بن العقونة...!! لكن رابحا انطلق يجرجر برنوسه المهترئ.واختفى عن الأنظار..

IV

ثامزا..هل هي فعلا

و لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ قرآن كريم

بدأ العد التنازلي لساعة الصفر، وأخذت العتاريس تتناطح،والمعيز (جمع معزاة)تتفرج ...وأسفرت معركة الناطحين عن مئات القتلى ، ومادام هؤلاء يقدسون الموت، فكل المنطوحين شهداء،حملت الشوارع أسماءهم ، وعدّ أطفالهم من ذوي الحقوق أو ذوي الحقوق والعقوق معا،أي يحق لهم أن يعقوا ، وزوجاتهم من ذوات الحقوق إلا من رحم ربي من ذوات الحسن، كانت تنظف مساكن الطلبة وتتقاضى أربعمائة دينار لإعالة أطفالها وكان عليها أن تتودد إلى بعض المرفهين من الطلبة، أن يساعدوها ببعض ما لديهم لقاء قطعة حلوى أو قارورة قازوز تحملها إلى أطفالها، الشهداء لا يعرفون شيئا ، وأما الأحياء فمعظمهم لا يعرفون نتيجة المباراة، لذلك لم يكونوا على موقف ما، فكانوا يلقون بكلمة حلوة إلى هذا مرّة ، وإلى ذاك مرة أخرى، ويمسكون العصا من الوسط ينتظرون أن يسقط أحد العتاريس فيسرعون إلى سكاكينهم.أما العقون زوح العقونة فلم يشأ إن يداهن أو يتزلف ، فقال رأيه بصراحة حين احتج على أحدهم وهو يقوم بذبح عتروس بابا مرزوق:

- ألا تدري أنك تذبح عتروس بابا مرزوق وما أدراك؟؟ أمازلت في قلبك ذرة أخلاق؟؟
- السياسة لعبة قذرة يا صديقي لا تعرف الأخلاق..
- ألم تقل لي من قبل أن الثورة عمل سياسي؟؟
- الثورة ...الثورة...يا عقون..مبررها الوحيد أنها ثورة..

- من يستطيع أن يقول للأسد : فمك أبخر
- ثامزا...من يستطيع أن يقول لثامزا أنت ثامزا...تسريل..هي نفسها ثامزا سمها كما تشاء ..لكن هذا اللسان سيقص من جذوره.

لم يكن رابح ولد العقونة على دراية بكل هذه المعلومات ، لكن الشيخ عبد الودود ،كان يقطرها في ذهنه تقطيرا كما يقطر الدواء المرّ في حلق المريض..لكن هذا الدواء المر لم يكن ليعافي رابحا إنما أنار بصيرته ليرى كثيرا من الكلام الذي يقال لهم في المدرسة...على حقيقته.

وكان الشيخ يحدجه -من حين لآخر- بنظرة مؤنبة وحين يكون سويلم معهم يقول له الجملة التي اعتاد أن ينطقها بلغة قريته الأصلية التي لا يفهمها سويلم وغيره ممن تربى في المدن الكبرى:

- آوين شسذهي الدنيا !!!!..

لكنه سرعان ما يعود إلى موضوعه الأصلي...ويستأنف كلامه:

- يا بني كلام المدرسة ..خيال معشش في العقول لا صلة له بالواقع إنما صلته بالأماني والآمال ..آمال هذا الشعب المغلوب على أمره التواق للحرية والكرامة..شيء ، وما حدث في الواقع شيء آخر.

دخل رابح على زوجته ، وهو يحمل خنجرا ، واخذ يضرب ويضرب في حركات هيسترية حقيقية، تجري من ركن إلى آخر من أركان البيت، وأخيرا استطاعت أن تخرج في قميص النوم إلى الشارع في ذلك البرد القارص ..في قرية من ضواحي الأوراس الشامخة بجبالها التي تناطح السحاب مثل العمارات التي شيدها الرجل الأبيض في العالم الجديد.

جاءت الشرطة وأخذته إلى مخافرها،،ولم يستفق من غيبوبته إلا بعد أسبوعين حين عرض على طبيب أثبت أنه يعاني من هستيريا وانهيار عصبي، زارته حدي العقونة ، وأخذت قميصه لتغسله وتحضره في الزيارة الموالية ، لكن حدي أخذت القميص مباشرة إلى الشيخ عبد الودود.

ضرب الشيخ العزيمة على القميص ويا لهول ما اكتشف، رجل وسيم –لا تعرف الفتاة المسكينة عنه إلا أنه يأكل الشخشوخة بشراهة ويحملق فيها بين الحين والآخر من طرف خفي- يقتحم الغرفة على الزوجة ويخبرها بأن زوجها غير موجود ، فقد أرسل به إلى مهمة رسمية في مدينة بعيدة، وها هو يزورها لأنه ببساطة معجب بجمالها ، وهو يريد أن يستمتع هذه الليلة فقط ، أحضر معه بعض الهدايا ، أثواب وجواهر جميلة ، وكان يحمل مسدسه ، في إشارة إلى ما يسمى: العصا والجزرة.

كان ما كان، ومن ذلك اليوم، ورابح المسكين كلما اقترب من زوجته تملكته رعشة، سرت في أوصاله كأنما هي تيار كهربائي. يصعقه، وكلما أراد أن يكلمها صرخت في وجهه.

كان ذلك الرجل الوسيم رئيسه في العمل ،يقال إنه كان مجاهدا وحين استقلت البلاد عن الاستعمار ، استولى على مؤسسة بيع الخمور المعتقة .بعد اتفاق سري مع المعمر اليهودي الذي كان يمتلكها..وقال أنت ابن شهيد يا رابح يجب أن نكرمك،هناك علاوات وجوائز إضافية للذين يرسلون في مهمة إلى العاصمة وأنت أولى بها.

- سعيدة مثل أختي تماما... قل لها إن بوعلام سيتغدى معنا واطلب منها أن تحضر لنا الشخشوخة البسكرية التي أحبها.

ثم رمى في جيبه ورقة ذات المائة دينار ، وهو يكمل كلامه ويخرج :

- مرّ على السوق واشترِ كيلو من لحم الضأن ..أحب لحم الخروف الجلاَّلي..

قرأ الشيخ على قميص رابح فاستيقظ ، لكنه لم يخرج من سجنه إلا بعد قضاء مدة عامين كاملين.رغم شهادات الأطباء ،إلا أن الحكم لم يكن بالإعدام ..وعندما خرج رابح من السجن لم يجد سعيدة ولم يجد بيته ، ووجد حدي العقونة في انتظاره.

- أنت راجل ياوليدي...راجل رغم أنوفهم جميعا ...حتى صالح الحركاتي كان راجل رغم الأنذال..لا تجزع عليها فقد يلفظها مثل عقب السيجارة حين يجد غيرها.

مازلت بعض النساء كلما سمعن اغنية :

يا صالح يا صالح ها ها....

ياقمح البليوني...

أجهشن بالبكاء ، حين يتذكرن حكاية صالح الحركاتي الحزينة..

- كيف أدرك رابح ولد العقونة الحقيقة المرة؟؟ هل هي التي أخبرته؟؟
- السؤال يبقى مطروحا؟ العلم لله وحده . ربما ضرب الخفيف مثل والدته حدي قبل أن يمسها سحر هاروت وماروت وكفت عن ضرب الخفيف الله وحده يعلم ..أشياء كثيرة في الدنيا يجب أن نسلم بعجزنا عن إدراكها .المهم أن يد الرجل ترتعش وتتملكه مشاعر غريبة كأنما يفكر أن يقترب من شقيقته..
- هل تعتبر خائنة وتستحق العقاب؟ ألم يكن مصيرها الموت لو رفضت؟؟
- كان عليها أن تموت في العفة والطهارة يا زعروري..لو وجد رابح المسكين أنها ضحت بحياتها محافظة على شرفه وشرفها كان سيفتخر بها طول حياته ويزور قبرها من حين آخر..

أليست هذه حسنة من حسنات ثامزا ... هاروت وماروت.. الشياطين الذين لبسوا أثواب الملائكة ثم انطلقوا في الأرض يعيثون فيها فسادا؟؟؟.

-V -

أطلق النار عند الشعرة السابعة

لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم
قرآن كريم

كان يوما ماطرا وكان البرد يأتي نسيما حادا من جهة الشمال ذات يوم جمعة وصل الزعروري متأخرا بسبب الأوحال كان ينفخ بين يديه التجمدتين عسى أن يبعث فيهما شيئا من الحياة قليلا. قال له الشيخ :

- استرح قليلا يازعروري واشرب كأسا من نقيع الأعشاب الساخن.
- لم أعد اهتم كثيرا بذلك السؤال الملح يا سيدي الشيخ.إنما استبدل بأسئلة أخرى أشد إلحاحا..
- الحياة كلها أسئلة يازعروري وحتى نموت ونحن ننتظر الإجابة التي لا تأتي.. لعلك بدأت تفهم شيئا..
- منذ رأيت رابح ولد العقونة بدأت أفهم ..لكن لم أفهم الجملة التي قلتها له ذات مرة..
- جملة واحدة ؟؟؟ بل كلام كثير....

كان الشيخ عبد الودود أحيانا حين يريد أن يخفي ما يقوله عن الحاضرين ، يسر إلى مخاطبه بلغة قريته ...لا سيما لأبناء قريته الذين يعرف جيدا أنهم يفهمونها جيدا.أعرض الشيخ عن سؤاله وقال

- اشرب يازعروري ..عسى أن يتسرب إليك شيء من الدفء.

لكن الدفء لم ولن يتسرب ، وقد أمضى في رفقة الشيخ سبع سنين دأبا دون أن يكمل حفظ القرآن ودون أن يتعلم منه أسرار الأعمال التي يقول البعض إنها سحرية بينما يقول هو ومناصروه إنها حكمة .ولعل في السحر حكمة أو في الحكمة سحر.

يكاد الزعروري يجن حين يتذكر أن ابن العقونة يمتلك الإجابة عن أسئلته ، ويعرف أيضا الكلام الذي يسره إليه الشيخ من حين لآخر ، بينما هو لا يفهم منه شيئا، كيف تميز هذا البهلول، وأصبح مقربا إلى الشيخ الذي يقول عنه إنه من أهل الله..

وبينما هو فاغر فاه كالمخبول إذ أقبل رابح ابن العقونة وهو يضرب الهواء بعصاه ويغني بلغة قريته:

ثاسخايث إيو آم أوسندوح.

آثين قي تشورغ آخدوح

أيغيو آذ يندو يفرو

سا الفضل أيك آسيدنا نوح

ناداه الشيخ عبد الودود قائلا :

- اشرب اللبن يارابح ولا تنتظر الزبدة التي سيطول انتظارها...

شرب رابح اللبن ، واكل قليلا من التمر، ونظر إلى سويلم الزعروري قائلا:

- هل أجابك الشيخ عن سؤالك الملحاح أم تريد أن اجيبك بدلا منه؟

لم يبنس الزعروري ببنت شفه توقيرا للشيخ الذي كان ينظر إلى رابح ويبتسم في وقار. انتظر أن يتم رابح كلامه ، لكنه لم يفعل ،ظل صامتا.ثم خطرت بباله فكرة غريبة ،وهي أن يرضي شيخه ولو بكلمة كاذبة:

- أمرني شيخي ألا اسأل عن " أشياء إن تبد لكم تسؤكم" وأنا أمتثل للأمر حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

وكان الزعروري في قرارة نفسه مصرا أن يبحث بنفسه عن إجابة واضحة لسؤاله الملحّ.

- لا تكذب يازعروري أو يكون لي معك شأن آخر.!!!!!
- عفوك ياسيدي...لن أعود إليها ثانية...

- لن تعود إلى ماذا؟ إلى الكذب أو إلى السؤال؟؟
- إليهما معا ياشيخي...
- ها أنت تكذب للمرة الثانية أغرب عن وجهي لا أريد أن أراك هنا مرة ثانية...

عفوك يا مولاي....عفوك يا مولاي...

لكن الشيخ لم يمهله ..واستشاط غضبا في وجهه أخرج من هنا يا زعروري...

يا لها من مصيبة فادحة ..كنت أخطط لأمر هام..لكن الشيخ يبدو تفطن لي ، وهاهو يجد الذريعة التي يطردني بها من مجلسه..كيف تفطن الشيخ ، كيف عرف أنّي مصرّ على أن أعرف هذا السِّر الخطير.

ومع ذلك قرر سويلم الزعروري ألا يستسلم ، فقد كان الدنيا والآخرة معا ،حتى إذا طفح الكيل، واضطره الشيخ عبد الودود إلى أن يستغنى عن الآخرة ويطلب الدنيا وحدها، ومن ثم أخذ يخطط لسرقة الشعرات السبع ، التي يقال إنها من عرف الحصان الذي يسمى البراق والذي طار بالرسول الكريم إلى بيت المقدس، كما وصلته أخبار أن قطعة صغيرة من الحجارة الكريمة ، خرج سيدنا بها يونس من بطن الحوت، ولا يدري ولا يريد أن يدري كيف وصلت إلى الشيخ عبد الودود.

المهم أن سر قوة هذا الشيخ اللئيم الذي يحجب المعرفة عن الناس حين يدرك أنها تودي بهم في متاهات الخطر وتنزلق بهم إلى الهاوية، ومع ذلك كان دائها يشيد بالعلم ، ويحثنا ونحن صغار على الإلحاح في طلبه.

سر قوة الشيخ في هذه الشعرات السبعة. قد يكون حصل عليها بطريقة غير شرعية ، عن طريق السحر واستخدام الجان، قلب

القطعة يخرج له أحد أبناء شمهروش ليخبره بما يكنز الناس في بيوتهم. أو عمّا تكنه صدورهم مما يفضلون إخفاءه عن غيرهم.

لماذا لا يصل سويلم إلى شعرة واحدة من هذه الشعرات السبعة ، ويطلق النار لتنفتح له كنوز الدنيا، مع أن الكنوز وحدها لا تشفي غليل سويلم . إنما يطمح إلى أكثر من مجرد الكنوز.

- متى يخرج الشيخ من خلوته ويطيل المكث خارجها؟؟

يفكر سويلم في دخول الخلوة حين يكون الشيخ غائبا، وعندئذ يستطيع أن يبحث عن الشعرة السابعة، ويطلق النار...ويرى بأم عينيه جماجم الشهداء وهي تتحدث وتحكي له قصة الغواية الكبرى التي أغوى بها إبليس أبانا آدم وأمنا حواء وبهذه الغواية خرجا من الجنة.وحكم الله عليهما بالعذاب من أجل القوت،وحكم على حواء بان يكون الرجل سيدا عليها وتتحمل أعباء الحمل والولادة، وحكم على الحية أن تأكل التراب طيلة حياتها.

- متى يخرج الشيخ من خلوته ويطيل المكث خارجها؟؟
- سبع سنوات وأنت مرافق للشيخ عبد الودود، لابد أن تجيب بنفسك عن هذا السؤال. لم تتعلم شيئا خلال السنوات السبع ، فلم ترد أن تعرف ما لا يجوز معرفته..قطة أكلت أطفالها...
- هل أنت غبي يازعروري؟؟؟

هكذا باغته الشيخ عبد الودود ذات صباح والأفكار المجنونة تتداعى في ذهنه.

- VI -

القطة مظلومة ولكن المشكلة ..من هي القطة

"وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض" قرأن كريم

منذ أن تخلت القطة عن مهمتها الرسمية ، المرسومة لها ، وهي صيد الفئران...كثرت الفران وقل حفرها ، بل كفت عن الحفر بتاتا ، وأصبحت تجوب الشوارع جيئة وذهابا دون حسيب أو رقيب،وتتوغل في المؤسسات الرسمية للدولة ، تدخل محطات المسافرين ومقرات الحزب ، والبنوك المركزية ، والمدارس والجامعات وشركة الصناعة والطاقة ...الخ، والفئران تسرق العجائن لتأكل ، وهذا لا يعترض عليه احد .لكن الفئران تعلمت عادة سيئة وهي التخزين، فكانت تخزن كل شيء... العسل والعجين وحتى القطع الذهبية إن وجدت.بل تهرب إلى ما وراء الغدير أحيانا.

لم تعد السرقة حراما كما كانت أيام الاستعمار،بل تغيرت القوانين الدينية والفقهية وأصبح حراما ما لم تصل أيدي الفئران إليه ، أما ما وصلت إليه واستطاعت أن تنفد بجلدها به، فهو حلال بلال.

واخذ الزعروري بعد أن مسخ فأرا بحفنة تراب سرقها من خلوة الشيخ عبد الودود، يتنقل بين ضفتي الغدير، لأبسط الأسباب، يغير فستانا طلبته منه صافي التي تزوجها خصيصا من أجل سي بوعلام ، الذي احتل مركزا مرموقا، فقد طلب منه أن يتزوجا في الوثائق

الرسمية،حتى لا يتهم في شرفه،ولا بأس أن يستمتع بها بين الحين والآخر، فإذا كان في المدينة من أجل شغل من أشغاله ، ترك له المجال ، ويذهب سويلم الزعروري ، الرجل الذي تحول إلى فار،إلى غرفة سي بوعلام في الفندق ليمضي فيها الليلة، أما سي بوعلام فيبيت مع زوجة سويلم في الوثائق، ويترك له الثمن. الثمن الذي يوغل به أكثر في رذالة الفئران ودناءتهم. هذه المرة كان الثمن حقيبة أوصاه سي بوعلام ألا يفتحها حتى يأتيه رجل بحقيبة الأوراق المالية من فئة النوفو فرنك وكلمة السر : (القطة والفئران) .

كل مرة يتذكر رابح ولد العقونة فيلعن نفسه ، ويلعن سي بوعلام ، ويلعن الشيخ عبد الودود ويلعن القطة..ويلعن الدنيا....لكنه مع ذلك يسكت ويرضى على انه لم يعد سويلم الزعروري ، إنما أصبح فأرا كبقية الفئران ...وأمثاله كثيرون.....غير أن الحجب نادرا ما تكشف إلا على أيدي أولياء صالحين مثل الشيخ عبد الودود.

لم يعد الزعروري يستدل إذا تكلم بما قاله شيخه،كما كان قبل أن يمسخ فأرا ، بل أصبح كلامه تكرارا لكلام جان وجانيت،وصافي. ما أعذب ذكرهم على لسانه. واللعنة على القطة وما أكلت ، فلو أعيدت الأمور إلى نصابها لكان فريسة سائغة بين يدي القطة ، ونسي رابح ، وحدي العقونة ومأساتها.

فشل الزعروري في العثور على الشعرات السحرية، وعلى الفص الذي خرج به سيدنا يونس من بطن الحوت ، وعلى خاتم فيه مسحة خفيفة من خاتم سيدنا سليمان، فخشي – وهو يبحث – أن يباغته الشيخ ،فيلعنه لعنة يتحول بموجبها إلى كلب، فلم يجد سوى حفنة تراب في صرّة من القماش بالية أخذها وانطلق مسرعا،ثم أخفى نفسه في المطبخ بين الأواني النحاسية، فوجد نفسه يجوب الأزقة ذهابا وإيابا مع بقية الفئران بعد أن أمِنوا مكر القطة ، التي أكلت أطفالها ...وظلت تتفرج على الفئران، دون أن تقترب منهم.

صحيح أن سويلم لم يعد يفكر، مثلما كان أيام صحبته الشيخ، ولو فعل لأدرك أن الكلب أشرف ألف مرة من الفأر،الفأر فويسقة من التسعة المفسدين في الأرض ،فمن المعروف " تاريخيا" أن الفأر قرض حبل السفينة التي أبحر بها سيدنا نوح عليه السلام .صحيح أن الأفعى أولى الفويسقات ، لكن قد يكون الفأر ثانيها ، ومن قال إن سويلم الزعروري يسعى للإصلاح بعد أن فكر في المحظور.

ومازال يتساءل بينه وبين نفسه عن كمية التراب التي سرقها لماذا يحرزها الشيخ كل هذا الحرز، ما قيمتها وما هي الأفعال السحرية يتمكن منها من حصل عليها.قرر سويلم بينه وبين نفسه أن يحتفظ بهذه الحفنة ، لأنه يدرك أنه لابد أن تكون لها حكمة ما.

وما كان المسكين يدرك أنه ،منذ رضي بسرقة حفنة التراب ، انقلب أمره رأسا على عقب ولم يعد يفكر إلا في المحظور.وهذا من الحكم الكثيرة لحفنة التراب.التي لم تزل خافية عن سويلم.

كان يركب سيارته الفاخرة ، وينتظر السائق، ليقضي حاجة في سوق أولاد نعمان، حين باغته المعتوه ولد حدي العقونة : ألا زالت بحوزتك تلك الحفنة من التراب؟

- يا لها من مفاجأة خطيرة!!!!، من أدراه بهذه الحفنة ؟

لم يتمهل رابح ولم يسلم عليه، ولم يقم له أي وزن،حين قذف في روعة تلك الجملة الصماء ، التي هزت كيانه،ثم اختفى بالسرعة التي ظهر بها.آه لو استمهله وعرف منه شيئا عن حفنة التراب، أو عن قيمتها عند الشيخ عبد الودود، لماذا كان ذلك الشيخ اللئيم يفضل رابحا الدرويش ، ويسر إليه ببعض الكلمات، ولو كانت بلغة القرية، لماذا يعرف رابح كثيرا من المعلومات على الرغم من أنه لا يمكث في الخلوة أكثر من الدقائق الخمس التي يستغرقها شرب كأس من النعناع أو تناول لقمة من كسرة الشعير؟ أما هو فقد كان يمضي الساعة والساعتين وهو يستعرض ما حفظه من القرآن في خلوة

الشيخ وفي حضرته، ومع ذلك ظل عالم الشيخ غامضا من حوله، ولم يستطع أن يكشف منه شيئا. منذ ذلك اليوم اخذ يفكر في رابح ،كيف يصطاده ، كيف يوقعه في الفخ ليعلم منه بعض الأسرار.والعلوم اللدنية.

تسلق سويلم في السلم وأصبح قائدا من القادة الكبار ، أو من القوّادة الكبار، يبدو أن التشابه بين اللفظين ، له دلالة، فالكلمات التي تتشابه في النطق تتشابه في المعنى أيضا ، لعل هذا اكتشاف جديد،.

يجب أن يتخلى القائد عن الأفكار السخيفة،ما معنى حفنة تراب في خرقة من القماش؟ هل تستحق كل هذا الاهتمام ، وما معنى أن يبحث عن رابح المعتوه ولد العقونة ،هل القائد الذي يركب سيارة الهوندا يليق به أن يحدّث هذا المعتوه ، وعن ماذا ...هذا الموضوع العظيم ، حفنة تراب.؟ ألا يكون بذلك قد شارف على الجنون؟؟

ومع ذلك أصر على هذا الجنون وقرر أن يلعب اللعبة الجهنمية، لعبة الجنون مع رابح ،باستخدام نصيحة سي بوعلام: " إذا أردت أن تسيطر على شخص أيا كان سيطرة تامة فاستخدم هذا المسحوق" سيصبح كالكلب ينتظر نظرة شفقة منك ، وينزل عند كل رغباتك بلا تفكير. إنه مسحوق سحري لكل مستعص.

حرام عليك أما تكفيه كل المصائب السابقة ، حتى تزيد عليه همّا على هم ، ألا تتحرك في جوفك شعرة من الرحمة؟ هذا المسكين ما بقي فيه من آثار الإنسانية؟؟

هكذا كان صوت ينادي من داخله البعيد و البعيد جدا...فيخجل من نفسه قليلا، ثم لا يلبث أن يجيبه.أما عن العته فهو معتوه من قبل ، أما الجنون فهو أيضا مجنون ، ماذا أزيد عليه ، كلها لحظات من السعادة الوهمية يعيشها رابح المعتوه ، يستمتع بها ، وبعدها أستطيع أن أحصل منه على معرفة قد تغير مسار الكون ؟ أليس

كذلك؟ وبعد ذلك، كلما كان مفيدا بمعلومات جديدة صالحة نافعة مفيدة كان حظه أحسن ، أما إذا توقف عن النفع فالموت أفضل له من الحياة ، ومع ذلك لن أقتله لن ألطخ يدي بدم رخيص. إنما أعيده للقرية من حيث جاء. وهناك يلقى مصيره في صمت.

- اتق الله يارجل !!!!
- كنت أظن انك تحولت إلى فأر فقط ، فهذا أنت تتحول إلى شيطان؟؟

-VII-

الحيوانات التي تدخل الجنة

كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قرآن كريم

جاء سي بوعلام من سفر استغرق شهرا كاملا، وأعلن لرفيقه أنه سيقضي أياما قد تطول وقد لا تطول في المدينة قبل أن يسافر من جديد إلى بلاد العفاريت الحمر، لذلك قرر سويلم أن يذهب إلى القرية ليستريح قليلا من عناء التنقل بين المكاتب، والرد على التلفونات،لكن حاجة في نفس يعقوب تدفعه دفعا إلى القرية ، وهو يفكر في الشيخ عبد الودود ورابح ولد العقونة، وأشخاصا آخرين، لا تبدو لهم أية أهمية من قبل ، لكن مادام سيمكث أياما في القرية لا بد أن يجد لديهم العون الكافي مقابل عشاء دسم ، أو حتى أن يراهم الناس يركبون معه في سيارته الفارهة.

وصل القرية فهرع إليه جمع غفير من الناس، يسلمون عليه،كل يحاول أن يدعوه إلى العشاء ، مع انه يدرك أحوالهم المادية المتعسرة في هذه القرية الجبلية حيث الموارد جد شحيحة.

يبدو أن الحال جيد هنا... هؤلاء بسطاء يقبلون كل شيء ويغفرون للجميع لاسيما أبناء القرية عقوقهم ، ولو قدر لي أن أخوض انتخابات لترشحت عن قريتي والقرى المجاورة ، وهؤلاء سينتخبوني في مقابل معسول الكلام فقط دون أي شيء آخر..

لابد أن اتخذ منهم أصدقاء، يقفون معي حين أكون في القرية يساعدونني على قضاء المآرب، غير أنه من غير المناسب ألاّ يكونوا من تلامذة الشيخ عبد الودود..

- هاهو عامر..كهل يقال إنه يملك مزرعة وحظيرة حيوانات..لم يكن له أي اتصال به من قبل حين كان تلميذا للشيخ، لكن الآن زالت التحفظات ، فالكل صار من طلاب الدنيا ، أما العلم ، فالنافع منه دون ريب ، كأن تأتي معلومات من العاصمة أن الحكومة ستوقف استيراد البضاعة كذا ..وهكذا يخزن منها كمية حسب ما تسمح به المدخرات المالية ..وهكذا يصيب أرباحا بفضل هذا العلم النافع..هذا العلم لا يعرفه تلاميذ الشيخ عبد الودود..وسي سويلم مطلع على كثير من كواليس تصدر عنها هذه المعلومات.

لولا حفنة التراب لندم على السنين السبع التي أضاعها من شبابه ملتمسا علوم الشيخ عبد الودود، على الرغم من كل ما يحوزه الشيخ من احترام وتقدير عند أهل القرية.

- أهلا وسهلا سي عامر..
- شرفت القرية يا سي سويلم كيف الحال ؟ لابد انك متعب قليلا من السفر هيا إلى البيت ترتاح قليلا قبل أن نذهب إلى قهوة سي البهلول. نلتقي مجموعة من وجهاء القرية،
- البيت بعيد من هنا؟ هيا نركب السيارة.
- أبدا ..أركنها هنا فهي في مأمن أنت تعرف قريتك يا سي سويلم لم تتغير.

مرّ رابح بسرعة وهو يضرب الهواء بعصاه ويغني :

ثاسخايث إيو آم أوسندوح.

ثاسخايث إيو آم أوسندوح.

وما أن لمح سي سويلم حتى صاح ..

- الزعروري الأهبل بن الأهبل ترك المدينة من أجل حفنة تراب..

احمرّ وجه الزعروري خجلا..وراح عامر يواسيه:

- لا عليك يا سي سويلم .. القرية كلها تتحمل لسانه السليط ، ببساطة لأنه لا يعي ما يقول.
- بل لا احد في القرية يعي ما يقول أكثر من هذا المهبول ..

اتكأ سي سويلم على الكانابي في غرفة سي عامر الدافئة، بعد أن علق معطفه، ثم غط في نوع عميق برهة من الزمن ثم نهض وطلب دخول الحمام وهو يقول لصديقه الجديد:

- لماذا كان النوم في القرية ألذّ ألف مرة من النوم في المدينة؟
- ربما بسبب الهواء الملوث هناك والنظيف هنا.

خرج سي سويلم من الحمام، وهو يقول نذهب إلى المسجد نصلي مع الجماعة لعلنا نلتقي أشخاصا آخرين قبل السهرة التي تكون غالبا صاخبة، ومع أن عامر لم يتعود على الصلاة لا في المسجد ولا في غير المسجد إلا يوم العيد ، فقد استجاب لسي سويلم،ومع ذلك اعترض بضرورة شرب القهوة أولا ثم الذهاب إلى الجامع. فهو يعرف أن غرض سي سويلم ليس الصلاة في ذاتها، إنما يطمع أن ينطبع في أذهان أهل القرية ممن يرتادون الجوامع ، أنه تقي وأصيل ، وربما يطمع أن يلقى الشيخ عبد الودود ، ليريه أمارات النعمة التي ظهرت عليه.

كانت صلاة المغرب قد فاتت سي سويلم فصلى فذا ، وكان يستمع إلى الإمام ، وهو يحدث مجموعة من المصلين ، وينظر بين الحين والآخر في كتاب أوراقه صفراء مهترئة:

- ما هي الحيوانات التي تدخل الجنة؟
- بقرة بني إسرائيل،نملة سيدنا سليمان،العنكبوت التي نسجت على غار اختبأ فيه سيدنا رسول الله ،وماذا بقي؟
- كلب أصحاب الكهف هكذا قال احد المستمعين فرد عليه الإمام
- أحسنت... بارك الله فيك.

- وكلاب الشيخ عبد الودود.
- ماذا ؟؟؟
- هكذا ردّ الإمام مصدوما..تعالت القهقهات والتعليقات وكثر اللغط والهرج والمرج...
- سكوت.سكوت ..من هذا الذي يريد أن يفسد الدرس.
- ليس معنا أي جديد ماعدا سي سويلم وهو تلميذ معروف من تلامذة الشيخ عبد الودود...
- لكن سي سويلم مازال بعيدا يصلي المغرب ، ولم يتدخل في الحوار، وما أن أتم صلاته حتى أشار إلى رفيقه بضرورة الخروج.

دعا سي سويلم رفيقه إلى العشاء في مطعم في الطريق الوطني بعيدا عن القرية، يقدم وجبات دسمة من الشواء.

- يبدو لي أن القرية ما تزال متخلفة ، على الرغم من أن الجامعة تستقبل كل عام عشرات الطلبة من هذه القرية بالذات ومن القرى المجاورة..ما أهمية هذا الموضوع الذي يناقشه إمام المسجد مع المصلين في الجامع ..حيوانات تدخل الجنة...يا له من مشكل خطير يفت في عضد الأمة والوطن!!!!!!

هكذا كان سي سويلم يحدث نفسه بصوت يسمعه رفيقه..ثم أردف

يقول موجها كلامه إلى رفيقه:

- والله لم ألتق الشيخ عبد الودود منذ اثنتي عشرة سنة..لكني دائما أسمع عنه وأسأل عن حاله كل من لقيت من أهل القرية...لكن الذي يهمني حاليا ليس عبد الودود ...إنه رابح ولد العقونة..هذا المعتوه الذكي.
- أرى أنه من غير اللائق أن تزور القرية بعد غياب كل هذه المدة، ولا تؤدي زيارة احترام وتقدير للشيخ عبد الودود.

- أتمنى ذلك لكني خائف..مرعوب من لقائه...
- أنت تلميذه ...ولست وحدك الذي فشلت في الدراسة ، ومع ذلك كل أبناء القرية يؤدون له فروض الولاء والاحترام بزيارته والسؤال عن حاله.

سكت الزعروري طويلا وانشغل بتقطيع قطعة شواء، وهو يفكر، هل يغفر له الشيخ اقتحامه خلوته وسرقة حفنة التراب..كيف سيقابله الشيخ بعد هذه السنين..ثم نظر إلى زميله وقال مترددا لظنه أن رفيقه عامر لن يفهم عنه كثيرا مما يدور في خلده:

- أفكر في حديث قصير مع ولد العقونة عسى أن يسهل علي الأمر...

ثم استدرك ...

- ما قصة كلاب الشيخ عبد الودود التي ذكرها احد الحاضرين في الجامع وأثارت صخبا وضجيجا لم أسمع من قبل أن الشيخ عبد الودود له قصة مع الكلاب؟
- هي حكاية يقولها الناس لكن لا أحد يصدقها..إنما يتندرون بها...

لكن لم تقل لي لماذا كل هذا الاهتمام بولد العقونة ، على الرغم من انه رآك ولم يتوقف حتى للسلام عليك.

- دعك من هذا البوهالي ، إنه يعرف عن الشيخ عبد الودود أشياء كثيرة ، لكن حدثني عن الكلاب...الكلاب ما حكايتهم.

طأطأ عامر رأسه ، وطلب من رفيقه ألا يأخذ الأمر بجدية ويعتبره مجرد نكتة..ثم راح يسرد أحدثا لا يدري أحدثت بعد الثورة أو قبلها....

VIII

من الماسخ و الممسوخ.

ومسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا قرآن كريم

الأرض عبارة عن صخور مسننة وأغوار سحيقة ومساحات تصغر أو تكبر، لكنها مغطاة بأجمات كثيفة من العرعار والزان والصنوبر.

كان الشيخ عبد الودود النايلي ، مقرفصا على أكمة عالية،يشعر بان لحنا نشازا تدخل في أصوات الطبيعة التي لا تزيد في العادة عن صفير الرياح بين الأشجار ، وفرقعات الأغصان من حين لآخر.

يتوجس خيفة من هذا النشاز فيشير إلى رفاقه من بعيد.كان بعضهم يشرب الشاي في كهف ويتحرق شوقا إلى أطفاله.والبعض الآخر يتسلق الأشجار فيصيب منها بعض الثمار، يجمعها في عبه،ليتقاسمها مع رفاقه، والبعض يداعب الكلاب التي لم تستوعبها القرية، فتاهت بين الجبال لعلها تقتات من بعض الجرذان ، أو بعض الأرانب البرية.يرمي إليها بالحجارة فتجري إليها معتقدة انها فتات الكسرة.

الزمجرة تقترب أكثر فأكثر، لكن الشيخ عبد الودود النايلي لم يتبين من أية ناحية كان مصدرها ،ففي مثل هذا الجو كثيرا ما يظن أن الصوت يأتي من جهة الشرق فإذا بالمحركات والآليات تظهر من جهة الغرب .

تصاعدت الأدخنة من كل جهة فصاح عبد الودود

- الـشهادة.....الـجنة ...مـرحـبا بـالـشهادة فـي سـبيل الله والوطن.!!!!!
- قاتلوهم أيها الإخوان!!!
- لكن أحدا من رفاقه لم يظهر، لقد ركن الجميع إلى كهف في عمق الجبل ...راح يبحث عنهم ويطلق النار يمينا وشمالا .

الكلاب تنبح عاليا كلما سمعت صوت الرصاص ، وكلما علا صوت الكلاب ازداد إطلاق النار!!!

لم يكن هناك أحد من رفاقه في المغارة ،ولج إلى عمقها ، كانت خالية تماما، خرج يتمتم ويحوقل ويبسمل...استفزه مشهد الكلاب التي ظلت تتجاوب مع إطلاق النار..كانت البنادق مخبوءة في ركن في آخر الكهف ،أخرجها واحدة واحدة، ثم رمى بالصرة صرة الرماد، كان قد استخرجها من نار أوقدها بعد استحضار الاسم الأعظم ،وبعض التعويذات التي كثيرا ما قرأ عن فعاليتها.

رمى بحفنة من الرماد ثم رمى بالبنادق واحدة واحدة ...التقطتها الكلاب التي أخذت في تغيير جلودها..وتتحول إلى رجال ونساء..لا يغطيهم شيء إلا أغصان الأشجار .

واحتدمت المعركة من جديد والشيخ عبد الودود يفكر هل يمكن أن تعود هذه المخلوقات إلى حالتها أم تظل كما هي الآن في شكلها الآدمي...أم ماذا؟؟استغفر الله ربي أنت الخالق وأنت مغير الأحوال!!!!

راحت الكلاب الآدمية أو الآدميون الكلاب يقاتلون العدو .وكلما نفد رصاص احدهم اختفى الجسد الآدمي ، ومع ذلك تأتي كلاب أخرى من عمق الأجمة وتمسك بالبنادق وتتحول في أشكالها إلى آدميين ثم تدخل الغار وتخرج مزمجرة مطلقة الرصاص في اتجاه العدو.

توقف كل شيء والشيخ عبد الودود النايلي يلوح بالراية الخضراء منتظرا أن يهب إليه رفاقه في السلاح ...فلم يجد غير الكلاب..

تعجب سويلم من هذه القصة؛ لأنه كان قد سمع أن الشيخ إذا غضب على شخص غضبا شديدا استطاع أن يحوله إلى كلب..كان الأطفال يتحدثون بهذه الكرامة من كرامات الشيخ ، ولم يكن يصدق على الرغم من أنه وقف بنفسه على بعض الخوارق في سلوكات هذا الرجل.

أما أن يحول الكلاب إلى آدميين فهذا أمر جديد لم يسمع عنه إلا اليوم..صحيح أن هناك أشخاصا من كثرة ما يهذون ويلغطون ويثرثرون تقول إن الله كاد أن يخلقهم كلابا لكنه تراجع في اللحظة الأخيرة، ثم ..أستغفر الله أستغفر الله العظيم ..يكاد الواحد يخرج عن طوره حين يصطدم ببعض الظواهر.

لكن هل أن أولئك الكلاب عفوا الآدميين استشهدوا جميعا ،أم بقي منهم من يتحدث ويتحدث ويكون قد نسي انه كان كلبا لولا العناية الإلهية وكرامات الشيخ عبد الودود.

لو أنهم استشهدوا لانتهت المشكلة، ولو أن الحكاية كلها ملفقة من شطحات الخيال ، لكان أحسن..لكن المشكلة لو أن منهم من يعيش بيننا بسحنته الآدمية، ونحن لا نعرف الأصل الكلبي، وحين يسلك سلوكا مثيرا للسخط ، لا نعرف هل سلكه باعتباره شخصا آدميا أم باعتبار أصله، وجيناته الوراثية السابقة ، ومن المستبعد أن يكون قد تطهر تماما من بقايا النزعة الكلابية.

(9)

السامري معلم الحكمة

‘‘قبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي’’ قرآن كريم.

كانت المفاجأة كبيرة جدا، حين دخل سويلم إلى خلوة الشيخ مطأطئا رأسه، إذ هشّ في وجهه وناداه ببشاشة لم يعهدها:

-أهلا بك يا زعروري..تعالى اقعد بجانبي لقد اشتقت إليك ولأسئلتك السخيفة..هذه المرة سأجيبك عما يدفعك دفعا إلى القرية بعد الغياب الطويل...أليست حفنة التراب؟؟؟

أطرق الزعروري خجلا ولم ينبس بكلمة واحدة.

طأطأ الشيخ طويلا ثم أردف:

- لا تظن أنني غاضب عليك ،بسبب حفنة التراب،هي حلال لك ، ولو طلبتها مني لأعطيتكها على الرغم من قيمتها..العزيزة ، لكن الحكمة لا تسلم أمرها لأي كان...الحكمة تتمنع إلا عن أهلها.
- إنك بهذه القبضة تتعلم حكمة السامري لا حكمة سيدنا موسى،ستصنع عجلا جسدا له خوار وتدعو بني قومك لعبادته من دون الله الواحد القهار.
- هذه هي القبضة التي قبضها السامري من أثر الرسول، لو وقعت في يد سيدنا موسى لكان له بها أمر عظيم ، لكنها وقعت بين يدي السامري..احسم أمرك يازعروري..هل تفكر في أن تكون سامري القرن العشرين؟
- عفوك يا سيدي الشيخ أرجو الصفح عن زلتي..

- أتذكر يا زعروري ، الحلم الذي رأيتَه ذات ليلة،حين كنت تتردد على خلوتي أيام الجمعة ، تلك رؤيا صالحة، ولم تكن أضغاث أحلام ...وها أنت تقع في المحظور...سوف تكون ممن يساقون إلى بحيرة الدماء...
- لم أفهم قصدك يا شيخي،كأني بك تقصد أمرا ذا أهمية بالغة..ليتني أعرف..
- أعرف نفسك – يازعروري- تر العجائب.. بعد أيام قليلة ستلد صافي ولدا بهي الطلعة.ستحبه كثيرا وتربيه لكنه يبقى شوكة في حلقك..

لكن الشيخ انتفض فجأة من مجلسه، وهو يقول بغضب شديد:

- قم يازعروري فقد علمت أكثر مما يجب اليوم ، لكن تذكر دائما أنك ستمضي في طريق غير سالكة لأنك اخترتها بنفسك وكانت أمامك الطرق السالكة وكنت تراها لكن بنظرة قصيرة..فلم تختر أيا منها..قم يازعروري ...قم.. وعد إلى المدينة البعيدة..

كان سويلم الزعروري ينظر حوله كأنما يبحث عن طوق للنجاة بعد هذا السيل الجارف، ليتني لم أزر الشيخ ولم أزر القرية..وخرج من الخلوة دون أن يودع الشيخ...لكنه لم ييأس تماما كان يمني نفسه بان يلقى المعتوه رابح ولد العقونه عسى أن يجد لديه سرابا يتوهمه ماء فيتسلى قليلا عن نوبة العطش التي تكاد تقتله وهو يتيه في صحراء مهلكه من اللاماء واللا هواء واللا سماء واللا معنى.

وفجأة سمع شكشكة القطع المعدنية والأغنية القبائلية يترنم بها رابح ولد حدي العقونة

سا الفضل أيك آ سيدنا نوح...

سا الفضل أيك آ سيدنا نوح...

سفينة النجاة لعلها سفينة سيدنا نوح ، انشرح صدر سويلم ونادى رابحا تعالى يا رابح أريدك أن تكون صديقي، تعالى اشرب معي القهوة الشاذلية..سترافقني إلى ضريح سيدي عبد الرحمن.

ردّ رابح ولد العقونة بلامبالاة ولا انتباه إلى محاولات إغرائه :

- سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله..أنت تغرق بلا ماء تغرق ولا تنفعك السفينة..حتى سفينة سيدنا نوح تغرق لو ركبتها أنت..

ثم التفت إلى رفيقه عامر وهو مندهش ، وجود عامر طبيعي في أي مكان في القرية لكن وجود الزعروري وجود عبثي..

- لا ترافقه يا عامر فهو غارق لا محالة..
- ألا تشرب معنا القهوة الشاذلية؟
- أشربها معك أنت يا عامر أما هو فلا . هو ينوي أن يدس لي فيها سمّا قاتلا..المسكين يظن أن السم يقتل من غير أن يأخذ إذنا من الله..
- لقد بدأت أخافك يا سي سويلم...هذا المعتوه يقول كلاما يشعرك بأنه لم يقله عبثا حتى لو كان معتوها.
- حتى أنت يا عامر تخاف من كلامه.إنه لا يعي ما يقول..
- أنسيت أنك قلت لي البارحة إنه أكثر الناس وعيا بما يقول على الرغم من مظهره هذا.

كان سويلم يقود سيارته في طريق عودته إلى المدينة، وهو يفكر،هل صحيح أن صافي حامل، وهل ستلد قريبا،كما أخبر الشيخ عبد الودود، أما كيف عرف الشيخ بذلك ، فلم يعد سؤالا مطروحا على الرغم من غرابته، فقد عوده الشيخ على معرفة مكنونات الصدور، لكن لماذا لم تخبره صافي بحملها، والمشكلة

الأخطر، من يكون الأب الحقيقي البيولوجي لهذا الطفل؟ وهل سيعتبره ابنه رغم كل شيء فهو ابن الفراش كما يقال وللزاني الحجر.غير أن المسألة مفضوحة ههنا فسويلم يعلم علم اليقين أن صافي ليست زوجته على الطريقة المتعارف عليها وهي أن الزوجة لا يطؤها إلا زوجها الشرعي.

ماذا لو كان كلام الشيخ صحيحا هل سيعترف بالطفل ويربيه .. ثم ذهبت به تأملاته بعيدا ..هل العلم الحديث يستطيع أن يثبت الأب البيولوجي للطفل..أليس ذلك انتهاك لحرمة الدماء وهي الحرمة التي حذرته منها أضغاث الأحلام ذات ليلة صباحها بعيد.

وماذا لو علم سي بوعلام بالأمر هل سيتقاسم معه أبوة الطفل كما تقاسم متعة الحسناء صافي. فاحتمال أن يكون أبا الطفل وارد ، بالنسبة نفسها.

لقد تمادى سويلم في هذا الطريق الشائك ، والعودة منه لم تعد ميسورة، وهنا تملكه الرعب من العاقبة الوخيمة التي تنتظره، فالطرق الشائكة مآلها صعب إما الغرق أو الاحتراق أو الوقوع بين مخالب الوحوش الكاسرة ، ويبدو أن الاحتمال الأخير هو الراجح حتى الآن، سي بوعلام ومن يقف وراء سي بوعلام ، هم الذين يمثلون الوحوش الكاسرة في هذه الدراما المليئة بالمفاجآت.

(10)

أبوان و أم واحدة لطفل محظوظ

"فلا يبلغون أشدهم وذرية المضجع الأثيم تنقرض" سفر الحكمة الإصحاح16

أنت لست رجلا!!!!هكذا باغتته صافي حين سألها..هل صحيح انك حبلى ياعزيزتي؟

الصدمة كانت شديدة على قلبه لا سيما بعد الهزيمة التي تلقاها في القرية..أمسك نفسه عن البكاء..تظاهر بعدم التأثر بكلامها ، سكت طويلا لمحاولة امتصاص الصدمة، ثم أردف: الوثائق والشرع والقانون والعرف الاجتماعي كلها تقول إني زوجك، والطفل ابن الفراش. وهذا الفراش لي.

- لقد أخبرت أباه الحقيقي فلم يكترث للأمر، بل أبدى انزعاجه في البداية ، ثم تذكر، انك تتحمل إثم خطيئتنا جميعا وحدك. إن سياستك سياسة خنازير، ومن أجل ماذا، لهاث وراء زيف الدنيا حقيبة دبلوماسية، وكمشة من العملة الصعبة، واسم لامع يتردد في الصحافة، أما من الداخل ..بينك وبين نفسك أنت لا تساوي حثالة.
- أنا أبوه الحقيقي، وما تقولينه عني ينطبق عليك يا حبيبتي، ليس هناك امرأة في العالم تقبل بأن يتزوجها رجلان، رجل في الوثائق ورجل في الفراش إلا أنت...
- قلها وأنت على دينك ، أو على دين شيخك عبد الودود ...قل لي أنت لست امرأة حتى أفرح قليلا..
- لا تذكري الشيخ عبد الودود...لو كنت سمعت كلامه أو سرت على هديه ما وقعت في هذا الحضيض..

- لكنك سرقته ، كما تسرق كل شيء ، وكما تريد أن تسرق طفلا ليس من صلبك..
- صحيح أن الطفل يمكن أن يكون ابن سي بوعلام..
- هذا مؤكد ..
- لكن يحتمل أن يكون ابني أنا... نحن مشتركان في الفراش..
- اسمع يا زعروري ...المرأة تعرف ممن حبلت ولو ضاجعها ألف رجل..وهي لا تحتاج في ذلك إلى ذكاء ..إنما الغريزة وحدها تهديها..
- غريزة المرأة ذكاء وذكاؤها غريزي...ولكن المرأة الطبيعية ...أما أنتِ..
- كنت أظن في البداية إني أخونك..لكن تبين لي بعد ذلك أن سي بوعلام يزورني بتواطؤ وعلم مسبق منك،،، عندئذ تأكدت أنني أفضل منك..أنا أخون غيري مع رجل أحببته أو على الأقل اشتهيته ، أما أنت فتخون نفسك.
- الطفل في حاجة إلى أب ، وأنت في حاجة إلى زوج..نستأنف على قواعد جيدة repartons sur des bonnes bases كما يقول الفرنسيون. أعدك بأن سي بوعلام لن يزورك بعد اليوم..ستكونين لي وحدي.وسأكون أبا ابنك مهما كان أبوه الحقيقي.. سأعمل بالقاعدة الفقهية الولد للفراش.
- أنت أبعد الناس عن الفرنسيين ، وعن الفقه والفقهاء، الفرنسيون واضحون مع أنفسهم،ولا يقبلون الالتباس الذي تعيشه أنت.. أما الفقهاء فأنت بعيد عنهم كل البعد، لو كنت تعرفهم لبقيت مع شيخك..أنت لا إلى أولئك ولا إلى هؤلاء..هل تستطيع أن تعيش مع امرأة لا تحترمك بل تحتقرك...إذا كنت تستطيع فأنت غير طبيعي، وغير مأمون من المكر.

- وما هو الحل الذي تقترحينه يا عزيزتي..أنا مستعد للطلاق إن كان ما ترغبين ..ولكن هل يقبل هو بالزواج منك ويتبنى الطفل الذي تقولين إنه ولده..
- هو الآن وراء البحر مع الشقراوات..حين يأتي هنا نتفاهم على أسس جديدة. أما أنت يا زعروري فأفضِّل أن تخرج من حياتي إلى الأبد ..وإلا ففي جعبتي الكثير من الأسرار.
- سأخرج لكن إذا هو اعترف بالطفل..وقبل بك وتزوجك..الذي يشغلني الطفل.
- لا شأن لك بالطفل..ولا به ولا بي المهم أني لا أحب أن يكون في حياتي نذل.
- هذه المرة الثانية التي أتلقى منك إهانة مع أنني أحبك ولا أتمنى لك ولابنك إلا الخير..ستندمين وتدفعين غاليا ثمن تهورك.
- لن تفعل شيئا..أكثر من الذهاب إلى تلك العاهرة ..وأنت تعرف جيدا ماذا أستطيع أن أفعل.

هو يعرف جيدا أنها متأكدة من أنه لن يفعل شيئا..وكثيرا ما يتوعد ويرغي ويزبد ثم ينسى كل شيء ..كدولة عربية تلقت ضربة من إسرائيل تتوعد دائما بالرد في الوقت المناسب ، لكن الوقت المناسب لن يكون إلا في الثلاثين من شهر فيفري أما في أي سنة فتنتظر متى يتغير النظام الشمسي.

سكت قليلا ...ثم قال في نبرة حزينة:

- أنا عند جانيت لو احتجت أي شيء..

لم يذهب إلى جانيت ، فلم يخطرها مسبقا فخشي أن يجد لديها ضيوفا في هذا الليل المتأخر فيحرجها ،وإلا كانت في استقباله، المسكينة تنتظره بشغف شديد وتحاول إرضاءه إلى أقصى حد ممكن، كما تريحه من أتعاب العمل،فهو رجل وديع

، وكريم سخي إلى درجة مبالغ فيها؛ لا تطلب منه شيئا إلا استجاب على الفور، لكن المسكين متعلق بصافي إذ يشعر أنه يقدم خدمة لسي بوعلام حين يلعب دور الزوج المخلص الوفي.وكل مرّة ، له عند بوعلام ،إما معلومات مفيدة من العلم النافع الذي يأتي به من كواليس السلطة، أو حقيبة من الحقائب الدبلوماسية التي يجلبها من وراء البحر.

ذهب الزعروري إلى مكتبه، لم يجد سكرتيرة،إنما وجد الحارس في أسفل باب العمارة.فأخبره بأن سي بوعلام ترك له أمانة، وهي طرد مغلق ،ثقيل نوعا ما لكنه يأمره بعدم فتحه . والتعليمة مكتوبة بخط واضح على الغلاف الخارجي للطرد.

دخل مكتبه ، وقبل أن يجلس على المقعد الوثير أخرج كيسا جلديا فيه صرة من قماش بها حفنة تراب، في البداية همّ أن يقذف بها من النافذة في حركة عصبية لكنه تحكم في تصرفاته.

أدخل يده في الكيس وراح يلمس كيس التراب، ثم أدخل يده داخل الكيس وأخذ يفكر، وهو يفرك التراب بين أصابعه، ما عسى أن يكون هذا الكيس؟ كيس سحري أو تراب لا يصلح إلا لذوي الحكمة من أمثال الشيخ عبد الودود. ليتني أعرف كيف أستفيد من هذا الكيس.

أحس بخدر في رأسه وثقل جفنيه وبدأت الأفكار تختلط في ذهنه وترسم أشكالا بهلوانية ، تأخذه تارة إلى القرية وتعود به بين الجبال والغابات إلى المدينة، كأنما هي أرجوحة يصنعها من حبال بين أشجار السنديان حين يفلت مع رفاقه الصغار يختفون عن معلم الكتاب ويلعبون بالمراجيح التي يصنعونها

بـأنـفسهم بـين الأشـجار.الأشـجار الـغريـبة والأبـنية الـغريـبة المجهولة أو الكرتونية التي لا يذكر متى رآها.

(11)

الخيط العجيب

ويخرج خيط القياس مقابله على أكمة جارب

سفر أرميا

شيخ جليل كث اللحية أبيضها ، طويل القامة عريض المنكبين، يقف على قمة جبل ويمسك برأس خيط طويل طويل طويل ، يتراءى لسويلم فيما يشبه الظلام ، من بعيد ، يخيل إليه أنه الشيخ عبد الودود.

لكن يفاجأ بالشيخ عبد الودود نفسه ، وهو في تجمع يرأسه الزعيم الذي يمسك بطرف الخيط ويحركه يمنة ويسرة، كل الناس يرغبون في الإمساك بطرف الخيط ، لكنهم لا يجدون إلى ذلك سبيلا.

من ذلك الزعيم ...؟ يتساءل الزعروري .

عدد قليل يستطيع أن يمسك بطرف الخيط ، من حين لآخر لكنه يفلت منهم فجأة فيحاولون مرة أخرى، الشيخ عبد الودود يمسك بطرف الخيط فيتحول في يده إلى قبضة تراب ، فترتاح نفسه.

أما الجمهور الغفير، فلا ينجح في القبض على الخيط، فيحدث صراخا مفزعا يتحول شيئا فشيئا إلى ما يشبه عواء الذئاب.

الزعيم يواصل خطابه:

- أيها المواطنون الشرفاء، لا تحاولوا الإمساك بهذا الخيط اللعين فإنه عبء ثقيل على عواتقنا نحن..لقد سقينا أرض الوطن بدمائنا ودماء أجدادنا..و قد آن الأوان أن نسقيها بعرقنا..
- لم يعد لها جدوى لقد تلوثت الأرض ولم تعد صالحة للزراعة..

- اقبلوا على هذا الرجل الخائن للوطن العميل للأجنبي
الـتفت الـزعـروري فـإذا بـالـشيخ عـبد الـودود وقـد وضـعت السلاسل بيديه..
اختلط الحابل بالنابل وكثر الهرج والمرج ..
- الشيخ عبد الودود..الشيخ عبد الودود....
استأنف الزعيم خطابه :
- أيها المواطنون الشرفاء !! هذه أرضنا حررناها بدمائنا من القياد والمعمرين والباشاغات...ولن نتزحزح منها أبدا.. بل الباشاغات هم الذين انزاحوا مدحورين..
- فـي تلك اللحظة مرت سيارة مارسيدس آخر طراز يقودها رجـل مـكتنز لحـما وشحـما ، ويـضع الـسيجار الـكوبـي الفاخر...نظر الجميع حتى اختفت السيارة عن الأنظار. ثم استداروا ناحية الزعيم ..
- أيها الشعب أرأيتم ، آشرأبت أعناقكم إلى أرباب الأموال ..لا تخافوا ، هذا الذي رأيتموه وأمثاله ، سأجعله مثلكم تماما..
- الناس يعممون الخير وانتم تعممون الشرّ ، نحن ننتظر أن تجعلوا الجميع مثله...
هكذا قاطعه الشيخ عبد الودود ، فتلقى تصفيقات الجمهور الحاضر.استشاط الزعيم غضبا وأخذ يصرخ بطريقة شبه هستيرية:
- تريدون أن تصبحوا باشاغات وتستغلوا الشعب الفقير، من هذا الذي يعترض على الزعيم ، ا قبضوا عليه..
- هو مقبوض عليه...يا زعيم...
- نفذوا فيه حكم الإعدام..
- لكنه لم يحاكم بعد..
- اقتلوه ...اقتلوه..

ثم أخذ مسدسه واخذ يطلق النار عشوائيا..وتجمع عدد من رجال الزعيم على الشيخ ، فأثار فيهم حفنة التراب فأخذوا يصدرون عواء الذئاب ، ثم اخذ عواء الذئاب يتردد في كل مكان في الساحة الواسعة، وبدون شعور أخذ سويلم الزعروري يعوي كالذئب ، وتحولت الساحة إلى ذئاب حقيقية .سويلم يتحسس جسده فيجد أن اللباس ينحسر ويحل محله شعر كثيف خشن..ذئب ذئب ،يلهث يلهث ذئب.. ذئب.. يضيق عليه النفس يفيق من نومه فزعا مذعورا. فيجد نفسه في مكتبه على الأريكة الوثيرة.

(12)

كبش الفداء

إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة

قرأن كريم

- لقد بدأ يضايقني،بسبب الوثيقة التي تربطني به، أنا متأكدة أن الولد ابنك أنت، لقد قلت له إن المرأة تستطيع أن تعرف ممن حبلت ولو ضاجعها ألف رجل ، بالحس الغريزي وحده، وهو مصرّ على أن يكون زوجي رسميا وأبا للطفل، الزعروري يجب أن ينتهي، يكون الولد يتيما وتكون أنت محسنا وكافلا لليتيم والأرملة ، وبذلك نتخلص من الزعروري المهرج التافه، والمشعوذ الفاشل، مثلما قتلتم المناضل الكبير سي عبد الكريم، في مهمة رسمية وفي فندق في بولندا أو ألمانيا الشرقية ، ربطة العنق لديه طويلة ، وعقدتها كبيرة، والخنق عندكم سهل ، وفيه مغامرة شيقة، ها قد ألححت عليك في التخلص من الزعروري.

أما إذا تقاعست عن أداء هذا العمل ، فإن كلمة واحدة مني، تشي بسر خطير، تؤدي بك إلى الهلاك.

إياك أن تفكر في قتلي مثلما قتلتم الفنانة الجملية، سحر، لقد أمّنت نفسي جيّدا، أنت تعي جيدا ما أقول يا سي بوعلام وتعرف جيدا أنني جادة كل الجدّ.

كانت صافي تكلم سي بوعلام بلهجة حاسمة ، وهي تمسح التحف الموضوعة على الرفوف المزخرفة دون أن تلتفت إليه إلا بين الحين والحين، وكأنها تجري حوارا روتينيا، عن شراء أو

التخلص من سيارة،أو قطعة أثاث، وليس قتل رجل بأهمية الزعروري.

أما بوعلام فكان يستمع إليها وقد حسم أمره ، لكن يفكر فيمن يخلف الزعروري، في المهمة ، ومن تراه يستطيع أن يكون الحمل الوديع مثل سويلم المسكين الذي أصبح موته أمرا ناجزا بالقوة ، قبل أن يكون ناجزا بالفعل.

- المشكلة فيمن يخلف الزعروري ، لا أجد رجلا في وداعته وسلامة صدره أثق فيه ثقة عمياء، إنه يقدم لنا خدمات جليلة ، لا نجد أحدا في هذا الزمان، إلا ويسأل قبل أن يفعل، إما سويلم فإنه يمتثل للأمر، وقد يسأل وقد يكتفي بالأثر الآني ، ويستغني عن المعرفة بعيدة المدى. أنا أعاهدك انك لن تريه بعد اليوم..أما فكرة القتل، والتصفية الجسدية ، فيبدو انك تبالغين ، وتكلفينني من أمري شططا.لم تحقدين على الزعروري الرجل الوديع إنه يكنّ لك كل الحب والتقدير ويسارع إلى إرضائك.
- لقد اكتشفت أني حامل، وأخفيت عنه ذلك، لكنه حين زار القرية، عاد يعاتبني أن أخفيت عنه الحمل وقال بأن الحمل ولد، وادعى أنه ولده ، ويستند إلى فقهاء الدين وكلامهم المحنط ، قال : الولد ابن الفراش وللزاني الحجر، أنت الزاني يا بوعلام..ولك الحجر حسب فقهائهم. أنا متأكدة أنه ولدك أنت.. لو اكتشف أمر الجنين قبل هذه المدة لسعيت لإسقاطه، لكن مرت عليه أربعة أشهر تقريبا وأصبح الإجهاض مكلفا ،تكتنفه مخاطر جمة.

لا أحب أن يكون هذا الجنين رابطا بيني وبينه، بقاءه حيا ، وإصراره على الوثيقه التافهة التي تثبت زواجه سيكون له أثر

سيء على حياتي.أما إذا أعدم فسيكون الولد يتيما ، وستحظى بمكرمة كافل اليتيم.

سكتت صافي برهة ،ثم أطرقت تفكر وأخيرا رفعت رأسها:

- ماذا لوبقي الزعروري حيا، وراودته فكرة رؤية ابنه المزعوم ، ثم منعناه من ذلك..وماذا لو تحامق وفكر في الانتقام ، لا شك سيكشف خيطا يؤدي إلى خيوط كثيرة، وتلك هي الكارثة..هناك من يسعى جهده لكشف خيط واحد، ولا يعدم الذكاء لكشف بقية الخيوط.
- أنا مرهقة يا بوعلام من جراء الحمل ، وكثرة التفكير، وباختصار، لا بد من التخلص من الزعروري. الذي يغيضني أنه كلما زار القرية جاء بمعلومات غالبا ما تكشف الأيام عن صحتها. وأنا شبه متأكدة أن الجنين الذي في أحشائي ولد ذكر بناء على نبوءته أو نبوءة قريته.

أجحم سي بوعلام برهة عن الكلام وأطرق يفكر: لابد من ذبح الزعروري حتى لا ينكشف أمر الخيوط ،وحتى نلجم فم هذه العاهرة ولو مؤقتا..الزعروري بقرة بشرية بأسئلته السخيفة ،بقرة يجب أن تذبح ، لا لكشف المجرم كما هو الحال لدى بقرة بني إسرائيل، لكن الزعروري بقرة بلادنا تذبح للتغطية على لفيف من المجرمين.

ما أعجب المقارنة، بين بقرة بني إسرائيل وبقرتنا، مقارنة معوجة ظالمة فاجرة كالمقارنة بين نبي وعاهرة.

(13)

بوعلام زيد القدام.

ومن لا يخر ويسجد ففي تلك الساعة يلقى في وسط أتون نار متقدة

سفر دانيال إصحاح3

بوعلام ، رجل من اللفيف المقرون الذي يقعد على مقدرات البلد، كان مجاهدا – على حد زعم المقربين منه- أما خصومه فهم كثر، ولهم رأي مختلف تماما، فمنهم من قال إن عصابة أوروبية نافذة استطاعت أن تغرسه بين أوساط اللفيف الأول، ثم في سليله اللفيف الثاني، ويقدم خدمات جليلة إلى لفيف آخر وراء الغدير.

كأنه كلب ذليل ، راح يفكر في التخلص من سويلم الزعروري بناء على رغبة صافي ، وتهديداتها ، ومع أنه ، لا يرغب في ذلك ، إلا انه فكر في قتله كما كانوا يقتلون السادة الكبار، يقتل ثم يعد في الشهداء ، وجنازة رسمية ، وتطبيل كبير في الإذاعة والتلفزيون وإشادة بأوصاف المرحوم وإراقة الدموع من المذيعات والمذيعين ، وأخيرا يكتب اسمه على شارع فرعي في إحدى المدن ، ويستحسن أن تكون العاصمة ، حتى يمكن تغطيتها في التلفزيون. وسي بوعلام يستطيع أن يسعى في هذه الروتينيات لدى اللفيف المقرون دون مشقة.

أما سبب القتل فسهل ، لمجرد اختلاف في وجهة النظر، هذا فيما بينهم ، وهو أمر مشروع، أما أمام الشعب ، فحادث مرور عادي. فقد كان "الملائكة" يقتلون بعضهم بعضا لسبب بسيط :اختلاف في وجهة نظر، والمبرر قوي ، الثورة لا تحتمل الخلافات لأنها ثورة. هكذا برر احد القادة الكبار قتله

للمناضل الكبير صالح الحركاتي ، كان يبكي وهو يقول، إنه بطل عظيم قدم للثورة أعمالا جليلة، وساهم في إنجاح عمليات فعالة كان لها الأثر الكبير والإيجابي في مسار الثورة المظفرة، لم أر مثله في بعد نظره ،وتقواه وشجاعته ، وحبه للوطن.

قال القائد الكبير في مذكراته : قتلته وأنا أبكي، تمت محاكمته بصورة سريعة، وهو يقول ، أعطوني عبوة ناسفة أفجرها في إحدى ثكنات العدو وأستشهد ، ولا تقتلوني أنتم، لكن الجماعة أصّرت على إعدامه، أنا الذي نفذت فيه الحكم وكنت أبكي وأقول له سامحني يا سي صالح ،أنا أعرف أنك مظلوم.

وهكذا تم قتل البطل صالح الحركاتي، وهو شهيد عند الله وعند المواطنين الشرفاء، وهو من كبار أبطال الثورة رغم كل شيء. وسيكون الزعروري رجلا عظيما مثله ، ضحى من أجل الوطن، وهكذا بدأ سي بوعلام يخطط لقتل الزعروري.

كان الزعروري قد تلقى هاتفا من عامر، يطلب منه أن يزور القرية إن كان لديه وقت يسمح بذلك ، لا سيما وهو يعرف انشغالاته الكثيرة، فقد دعا الشيخ عبد الودود النايلي كل أبناء القرية ، وخصوصا تلاميذه القدامى إلى لقاء في القرية ، من اجل المساهمة في رأب الصدع الذي حدث لتكيته فلم يعد بالإمكان البقاء فيها وقتا أطول بعد أن تصدع سقفها، وكان من حسن حظ الزعروري انه استجاب لهذه الدعوة.

- أهلا بك يازعروري، أنت من تلاميذي ، لكنك من التلاميذ الفاشلين في دراستهم..أرجو أن يكون قد جاء بك إلى القرية خير لا مصلحة شخصية..

- سمعت انك دعوت أهل القرية في أمر هام ، وأنا منهم ولا أتأخر عن دعوة شيخي..
- سينتهي إلى علمك أن حضورك اليوم ، عمل صالح لك ولنا.
- ما رأيك في التكية المتهالكة بفعل الهزة الأرضية؟ هل نرممها أم نتركها على حالها.
- أنا أقترح أن نعيد بناءها بطراز معماري أحسن ونوسعها لتكون زاوية ، ومدرسة ، وسكن في آن معا.
- أهل الخير بدءوا فعلا بإحضار الاسمنت لترميمها ، ومنهم من دفع مبالغ عينية،
- من أراد فعل الخير ، له ذلك فلا نمنعه.لكن إعادة بناء زاوية الشيخ عبد الودود ، على حسابي أنا.سأسعى لتوسيع رقعة الأرض.أما تكلفة المبنى فيقع على عاتقي وحدي.
- بارك الله فيك يازعروري...أنت رجل خير، سيكون للخير الذي تفعل ، أثرا طيبا عليك.ربما ينقذك مما أنت فيه.

وهكذا مكث الزعروري في القرية أياما لإتمام الإجراءات لدى البلدية لتوسيع الأرض التي سيتم عليها بناء الزاوية ،وكلف عامرا بأن يخلفه في القيام على شؤون البناء.

****

(14)

قلنسوة الحكيم أفلاطون.
فأغشيناهم فهم لا
يبصرون قرآن كريم

بحث سي بوعلام عن الزعروري ، رنّ التلفون مرات عديدة في مكتبه ، وكان كل مرة يرد عليه الحارس قائلا المكتب مغلق منذ أيام ويبدو أن سي سويلم مسافر.

احتار سي بوعلام في الأمر، فلم يرسل سويلم إلى أية مهمة كما تعوّد،ترى أين ذهب ذلك الرجل الأبله، إنه لم يصمم بعد الخطة لقتله، ربما تفطن للأمر ، هل هذا معقول؟؟ لم يكن لديه الوقت الكافي لانتظار قد يطول ، وقد يقصر، كان مكلفا بمهمة إلى ما وراء الغدير، وكان عليه أن يسافر.

ترك رسالة إلى سويلم عند الحارس ،تأمره بإتمام العملية الأخيرة ، وتعد سويلم بان يعين في منصب أعلى للقيام بمهام أوسع . ومع ذلك فلم يصله أي ردّ من الزعروري ، على الرغم من رباطه أمام التلفون صباح مساء، وأخيرا قرر الرحيل كما تعود، ولم تكن المهمة هذه المرة تستغرق أكثر من أسبوع لكن ظروفا طارئة تنتاب المهمات الديبلوماسية من هذا النوع أو شبه ديبلوماسية ،تجعلها تتأخر عن المواعيد المقررة سلفا؛ صحيح أن الصفقات الاقتصادية ، تضرب فيها بسهم الأسد ، لكن المعاملات بين الشركات الكبرى، تتطلب حنكة ديبلوماسية أيضا.

لكن سويلم لم يعد من القرية، منذ أكثر من أسبوعين ، فقد كان منهمكا في الإعداد لتوسيع تكية الشيخ عبد الودود النايلي وتحويلها إلى زاوية، تضم عدة حجرات ؛ حجرة للمطالعة ،ومكتب صغير لأعمال الحكمة والرقى وغيرها مما اشتهر به الشيخ داخل وخارج القرية، وأخرى للصلاة ، وأخرى للطلبة والمريدين واستقبال الزوار.

وكان كلما رآه الشيخ قال له :

- احترز على نفسك يا زعروري والحارز الله..ثم يخلو به ويسرّ إليه بكلام أثار فضول بعض العمال.

- ترى ما الذي يجعل الشيخ يرضى عن الزعروري كل هذا الرضا؟ أمن أجل حفنة من المال؟؟

- لعن الله المال!!!!!!

هكذا كان عمال المبنى يهمس بعضهم إلى بعض.

ومع ذلك فقد وصل المدينة لجلب الأموال التي كان قد أودعها في البنوك التي ليس لها أفرع في القرى الصغيرة .

وجاء سي بوعلام بعد شهر، وبحث عن الزعروري فلم يعثر له على أثر، جمع رجاله والمحيطين به وأخذ يخطب فيهم خطابا عنيفا:

- كنت أكلفه بعشرين مهمة في اليوم الواحد فينجزها جميعا في يوم واحد أو يومين على الأكثر، أما أنتم فمهمة واحدة ولمدة شهر ، عجزتم عن فعلها. ماذا أفعل بكم؟؟
- المشكلة أنه مختف منذ مدة ولا أحد يعرف له مكانا؟
- أين أمنكم ؟؟أين مخابراتكم؟
- المهمة صعبة ، ومادمت تؤمن بقدراته إلى هذا الحد فلم تريد التخلص منه؟

- كانت هذه المهام من أسهل الأعمال علينا حين كنا في الجهاد الأصغر . الجندي لا يسأل عن الحكمة من مهمة كلف بها، ينفذها أولا وقبل كل شيء.

أكلّ هذا بسبب صافي ،الخوف من صافي إلى هذا الحد، الغبي يسلمها رأسه ثم يخاف أن تذبحه بسكين حافية، ما هي الخيوط التي تمسكها هذه المرأة ، لتجعله يلهث وراء أوامرها كالكلب.

كل ذلك والزعروري، يرقب المشهد، ويفكر، ماذا عساه يفعل؟ ..وأخيرا ختم سي بوعلام كلامه بقوله: يجب أن أسمع الخبر في نشرة الأخبار هذا الأسبوع، وإلا فإن أرواحكم جميعا بين يدي.

- ماذا لو تغدّيت بهما قبل أن يتعشوا بي ، هل من العدل أن أنتظر مصيري ، ببلاهة شديدة. ترى هل يسمح شيخه بذلك؟؟

لقد منحه شيخه ، الرخصة لاستخدام قلنسوة الحكيم أفلاطون ، عند الحاجة الماسّة ، وحذره مرات عديدة ، بقوله:

- احترز على نفسك يا زعروري والحارز الله!!!!

ولم يكن يعرف أن سي بوعلام يخطط لقتله ، ومع ذلك قرر أن يحضر الاجتماع الذي دعا إليه ، فقد وجد ورقة بهذا الشأن عند حارس العمارة التي تضم مكتبه، لكن قرر أن يحضر الجمع وهو يضع فومة من حفنة تراب الشيخ عبد الودود على رأسه.

هل يستغل الفرصة ليتخلص من الاثنين معا وينجو بنفسه، أم يستشير شيخه في الأمر ، فالأمر لم يعد أكثر من دفاع شرعي عن النفس، ما دامت الأوامر قد أُعطيت والتنفيذ حاصل لا محالة.

قرر هذه المرة ألا يتسرع في الأمر ويستعين بالله وبحتمي بقلنسوة الحكيم أفلاطون ، أو تراب الشيخ عبد الودود . ويعود إلى القرية، فلا يخطر ببال أحد أن سويلم الزعروري ، بعد أن رقي إلى منصب أعلى يفكر في القرية وفي تكية الشيخ عبد الودود.

وما أن وصل الورشة بسيارته تتبعه شاحنة تضم بعض البضائع التي تصلح لأدوات البناء كالمغسل والحمام وبعض الشبابيك التي يكون قد جلبها من المدينة ، أو كلف أحدا من العاملين بشرائها .حتى استقبله الشيخ عبد الودود هاشا باشا.

- أحسنت فعلا حين لم تتسرع، يازعروري اعلم أن السم لا يقتل من نفسه ، إنما يأخذ إذنا من المولى عز وجل. وأن حفنة لا تخفيك حين تهم بفعل شر، إنما تكشفك كما تكشف العقرب.
- قتل العقارب ليس شرا يا شيخي...ما العمل يا شيخي و"الطناجر حمات والماس مضات"؟؟
- العمل عمل الله ، إذا كانت ساعتك لم تصل بعد، فلو اجتمعت الإنس والجن ، لن ينالوا منك شعرة واحدة.أما إذا جاء أجلك فلابد أن تموت ولو في فراشك كما يموت البعير.لا بد أن تكون مؤمنا صادقا بأن الأعمار بيد الله ، وليس بيد العفاريت ولا حتى الملائكة!!!!.

(15)

ثورة الملائكة

الحكم نتيجة الحكمة ، والعلم نتيجة المعرفة

الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي

قال كعب الأحبار نزل الملكان هاروت وماروت وقد انضم إليهما جمع غفير من بني الأصفر و بني الأحمر والجن والعفاريت فلم تعد تميز بين ملاك وشيطان، ثم نزلوا إلى بلاد الواق واق، وملأوا الأرض والجبل والسوح، واخذوا في البحث عن زهرة وجميلة وعزيزة ، ولكل بغيته ، وكان على رأسهم هاروت وماروت يبحثان عن زهرة. وتم العثور عليها في سرعة البرق وتم اغتصابها والتناوب عليها وفي المقابل عرفت منهما الاسم الأعظم .

غير أن اغتصاب زهرة من قبل هاروت وماروت لم يكن كافيا، فهو إثم واحد على كل حال، لكن الملكين شربا قدحا كبيرا من الخمر حتى الثمالة ، وسجدا لصنم وأخيرا قتلا غلاما رآهما خوف الفضيحة ، لكن الفضيحة الكبرى هي شهية القتل التي انفتحت على مصراعيها.وللغرابة فقد كانت شهية القتل أشد إلحاحا من شهية الجنس.

واخذ جيش الملائكة يزحف نحو البحر، تقدم،كالجراد المنتشر، الأحمر، والزحاف والأصفر وبوسريع وبوسفة... غزا البحر وحاصر الجزيرة : جزيرة بنوزا، أحاط بها الجند من كل جانب.

قدم وجهاء الجزيرة، لمحاورة الملائكة والتفاوض معهم: ألا تعرفون الكرم والشهامة ونصرة الجار،وإغاثة الملهوف والمروءة ؟ ألا تسمعون شيئا عن نبل الأخلاق والتسامح.

لكن الملائكة ، ومنذ أن شربوا خمر السلطة وحملوا السلاح وانفتحت لديهم شهية القتل نسوا كل الخصال الملائكية ، وخلعوا العباءة الخضراء عباءة طيور الجنة، ولبسوا العباءة السوداء عباءة إبليس ، ونزلوا في الأرض يقتلون الرجال ويغتصبون النساء.

قتلوا كل شيء ، قتلوا الأمل، قتلوا الرحمة ، قتلوا قلوبهم بين أضلعهم ، ثم أخذ كل منهم ينظر إلى الآخر شزرا . يبحثون في الخراب واليباب. ماذا بقي لهم من الجنة الموعودة؟ لا شيء.

أما هاروت وماروت وأمثالهما ، فقد صار منهم الرئيس بلا رئاسة والوزير بلا وزارة والوالي بلا ولاية والمدير بلا إدارة.

وأما سي بوعلام وسي الزبير وسي العربي وسي مقران وسي عمر. فقد أخذ بعضهم يترصد لبعض، ويفتش بعضهم في نوايا بعض . وكل يومين أو ثلاثة أيام ترتفع أبواق الإذاعة بالقرآن الكريم، وتنعى الرجل العظيم المناضل الذي قدم للوطن الكثير من الانجازات العظيمة.

انضم إلى كبار القادة رجال من بني الأحمر ، ذهبوا إلى ما وراء الغدير ، واخذوا ينسقون مع الملائكة، يحملون شيئا جديدا ، ويستخدمون الزعروري وأمثال الزعروري، في حركة دائبة ذهابا وإيابا بين ضفتي الغدير.

هربوا أشياء كثيرة، وثائق من زمن الأجداد المؤسسين، الحكم وفصوصها، وشنقوا الحكماء من أمثال ابن عربي وربما أكبر،

وحاولوا شنق الشيخ عبد الودود النايلي لولا كراماته، ولا ندري ما إن كان الزعروري سينجو بتلك الكرامة.

ليتني فعلت مثل سي الذوادي ، هكذا كان سي مقران يبكي ، ويطحن الحصى من شدة الغيظ وهو يقول حسرة :

- جعلتمونا نبيع الوطن برأس لفت. سي الذوادي خرج يذود عن الوطن الشر الآتي من وراء الغدير، فإذا به مضطرا إلى بيع الوطن ذودا على عرضه.

جاء سي الذوادي من مهمة شاقة استغرقت عدة أسابيع بغرب البلاد يوصل رسالة ، وكمية من الذخيرة إلى المرابطين في الثغور الذين لا يعرفون ماذا يبيت لهم. لم يكن بإمكانه الوصول إلى بيته في اليوم الأول.

مرّ ببيت عمته التي كانت تقيم في قرية جبلية بعيدة عن العمران:

-أنت رجل تحمل السلاح أغرب عن وجهي ، فلا تستحق لبس العمامة، حقك أن تلبس الفستان.

ماذا تقولين يا شقيقة أبي لم هذا الاستقبال العنيف؟ لم أزرك منذ مدة لأني أؤدي واجبا عظيما لمصلحة الوطن.

- أنت غير قادر على حماية زوجتك ، فكيف تحمي وطنا كبيرا؟؟ ألم تذهب إلى بيتك ؟ عروسك يا ابن أخي ، أخذها خطاف العرايس..!!!!!!

ولم يكذب الخبر ، ذهب إلى القرية ، رغم المخاطر التي تعترضه طول الطريق ، ووجد أن داوود عليه السلام، قد كلف جنوده بالبراءة من أفعالهم، وسي العزوزي قد ساق عروسته إلى مكان مجهول ، بعد أن قام بعمل يقال إن داوود وما أدراك قد قام به حين استهوته زوجة أحد الجنود.

كـان يـعلم أن اجـتماعـا فـي جـبل الـعطايـرة فـي مـنطقة جبسوس، بين قادة الجهة الشرقية والغربية ، ذهب إلى بني الأحمر، وأبلغهم بمكان وزمان الاجتماع.

لـكن مـداهـمة الـقوات المـعاديـة لـم تـسفر عـن مـقتل سـي العزوزي.

علم سـي الـذوادي ذلـك ، فـذهـب مـن فـوره إلـى المسـتشفى الميدانـي ، حيث وجده طريـح الفراش معلق الرجلين ، فقتله برصاصة الرحمة ، وهو يقول له لقد جعلتني أغير الصنف الذي أتعاطاه فبعد أن كنت مع الملائكة أصبحت مع بني الأحمر، فلن أسامحك بين يدي الله يوم القيامة.

قال مداح الحلقة بعد أن قص الحكاية على المجتمعين حوله،

- كيف استطاع هاروت وماروت أن يحققوا نصرا بهذه الأفعال الدنيئة؟؟

رد عليه الحضور بصوت واحد:

- إنهما يملكان الاسم الأعظم!!!!!!.

(16)

صراع الديكة

يقلون وينحنون من ضغط الشر والحزن يسكب
هوانا على رؤساء ويضلهم في تيه بلا طريق
سفر المزامير إصحاح
107

حين ينفش الديك ريشه ، وهو يرفع منقاره أمام الدجاج تارة ويهز جناحية تارة أخرى، لو سألته لقال لك : الله في السماء وأنا في الأرض لا معقب لحكمي ولا راد لقضائي.

كثير من الوجهاء والمقربين، حاولوا ثني سي بوعلام عن عزمه:

- ألا يوجد حل آخر غير القتل؟؟؟؟؟
- القيادة الثورية لا تحتمل التردد.. الحزم ضروري في مثل هذه الأمور.
- أناشدك بحق الوطن وشهداء الوطن أن تعفو عن الزعروري إنه رجل ضحى بزهرة شبابه من أجل خدمة الوطن.

هكذا ناشده أحد قدامى تلاميذ الشيخ عبد الودود وهو يعرف إخلاص سويلم الزعروري للوطن.

- لكن خيانة الوطن لا تغتفر .لقد تعاون مع أيادي أجنبية معادية.

علم الزعروري، بما يدبر له، فقرر أن ينهي الأمر مع الشيخ عبد الودود أولا، ثم يتولى بنفسه حماية الوطن من هؤلاء الأشرار.

اختفى في القرية أياما عدة حتى أصبحت زاوية الشيخ بناية كبيرة أنيقة، بيضاء مزدانة بحواشي خضراء ذات أبواب وشبابيك خضراء.

أما في الداخل فقاعات أنيقة بالبلاط والسيراميك وأبواب سميكة، لو أن الحكومة هي التي أنفقت على بناء الزاوية ما كانت لتكون بهذه الأبهة وهذا الجمال.

وأكمل الزعروري عمله بتأثيث الزاوية بخزائن للكتب من خشب الأبنوس، واجهاتها زجاجية ، بالإضافة إلى المناضد والكراسي والأفرشة الجميلة.

- لقد رضيت عليك كل الرضا يا زعروري ...فاعمل ما بدا لك؟
- لقد قررت أن أشرع في قتل العقارب وأرمي بزيف الدنيا بعيدا..وأنقطع للعبادة...
- لا تفعل شيئا إلا لوجه الله. حذار يا زعروري!!!!

من ذلك الحين لم يظهر الزعروري للرأي العام لا في القرية ولا في المدينة ولا في وسائل الإعلام..بل كان يتردد بين الجبل أين اتخذته جماعة مسلحة مرشدا لها ، وبين القرية ، يقرأ سورة الانشراح في أسارير الشيخ عبد الودود النايلي.

كان في غاية الزهو حين أقبل وفد من المسؤولين في الحزب والدولة لتدشين زاوية الشيخ عبد الودود ومعهم سي بوعلام. كانت وسائل الإعلام المأجورة تثني على السيد وزير الشؤون الدينية وعلى قيادة الثورة بسبب هذا الإنجاز العظيم الذي يحافظ على التراث الثقافي للوطن ، ويعلي من شان القيم الروحية للشعب.وتقول الصحافة المأجورة إن هذا الإنجاز من أهم أهداف الثورة. ولم يذكروا الزعروري ولو بكلمة واحدة. مع أنه كان يرقب عن كثب سعيدا بما يحدث ،الله يعلم والشيخ عبد الودود يعلم ، وما شانك بالرعاع؟؟ وكان الشيخ وحده من يعلم بوجوده بسبب أنه يضع على رأسه فومة من قبضة أثر الرسول التي فاز بها السامري ولا أحد يدري كيف وصلت

إلى الشيخ عبد الودود ، ومنه إلى الزعروري. طاقية الإخفاء هذه تخفيه عن جميع الناس إلا شيخه .

وهكذا أخذ الزعروري يخطط، الشبكة التي كان يخدمها، مترددا بين الضفتين، منسقا بين بني الأحمر وبني أكحل الرأس، أساطير كثيرة رويت عن أماكن نائية بها كنوز الملك سليمان، كما يسميه بنو الأحمر ، أو سيدنا سليمان كما يسميه أصحابنا، هل نبدأ بالرأس الكبيرة ، سي بوعلام ؟ أم بالرؤوس الصغيرة، حتى يعيش سي بوعلام في رعب أطول زمن ممكن ؟ أمثال سي بوعلام يجب أن يموتوا أكثر من مرة، موتهم في سبيل الوطن فخر لهم في وسائل الإعلام..هذا الفخر يجب أن يستمتعوا به، بعد الموت ، ربما يستمعون إلى الإذاعة بعد الموت..وسواء عليهم أاستمعوا أم لم يستمعوا...فالفخر بالسيادة ، والريادة. تطاولهم بعد الموت ولا ندري هل يحسب في ميزان الحسنات أم ميزان الشك والخيانة والنفاق وسوء الأخلاق..خيانة الوطن أيضا خدمه جليلة ، فوطن من غير خونة لا قيمة له..بل لا وجود له ، ونحن والحمد لله كل رجالنا مخلصون وفي حب الوطن تائهون.

(17)

صـــافي

"الاستبداد يتصرف في الأخلاق الحسنة فيفسدها فيجعل الشهامة عتوا والنذالة دماثة والنصح فضولا والغيرة عداوة...."عبد الرحمن الكواكبي

المرأة الوحيدة التي تمتلك قلوب الرجال وعقلوهم، وتمتلك أرواحهم أيضا ، ليس فقط لأنها فائقة الجمال، ولا لأنها تمتلك أخصب الأراضي؛ آلاف الهكتارات من الكروم والزيتون والخيرات الكثيرة.. وواحات النخيل بل والذهب بألوانه المختلفة كما تمتلك أجمل العمارات في أروع المواقع الارستراتيجية في المدينة الكبيرة،وأخطر الأرقام السرية في البنوك، بل لأنها تمتلك أسرارا خطيرة عن أمن الدولة والوطن، وملفات عن الماضي المدهش للتعاملات التي حدثت و تحدث بين الضفتين، أرباب الحل والعقد ، الذين يخطبون الخطب العصماء أمام الشعب، عن أولاد بالأحمر وجرائمهم، يسبّحون بحمدهم بل يصلون لهم آناء الليل وأطراف النهار.

الرجال الأشداء لا يحبون صافي لذاتها، إنما لما يستفيدونه من امتيازات بسببها، وهي تعلم ذلك فبإمكانها أن ترفع هذا وتنزل ذاك إلى الحضيض بإشارة سريعة.

- الأخبار السعيدة يا جميلتي...الارتياح الفرح والبهجة والطـــــــــــــرب c'est la cerise sur le gâteau aujourd'hui.الزعروري في ذمة الله ، عاش بطلا ،كرس حياته لخدمة الوطن ومات بطلا بأيدي الإرهابيين لأنهم يعرفون جيدا من هو الزعروري إنهم يترصدون لكل مخلص لهذا

الوطن، هل قرأت جرائد اليوم يا حبيبتي؟؟؟ أنا وأنت ولا أحد ينغص علينا الخلوة.. والطفل القادم سيملأ علينا البيت بهجة.

- هكذا دخل سي بوعلام على صافي دون أن يسلم ، وكأنما يقدم لها تقريرا عن إنجاز مهمة في حالة من الابتهاج العارم.
- هل تظن أن موته يفرحني إنه الوحيد الذي رضي ربط اسمه باسمي في وثائق رسمية..رأيت أنه مشكلة بسبب حسن نيته في هذا الزمن الذي لا جدوى فيه من سلامة الصدر وحسن النية..
- أنت لي يا حبيبتي قبل أن تخترع الكتابة.. أنت لي منذ الأزل، حبنا فوق كل وثيقة وفوق كل حبر وورق..ولم يعد هناك شيء اسمه الزعروري..
- هل أسَمِّي عدم حزنك عليه نوعا من النذالة ، على الرغم من الخدمات الجليلة التي قدمها لك ...أنا حزينة حقا على الزعروري...
- أبدا يا عزيزتي لحد الآن لم أجد من يقوم مقامه..وبعض المهام لا تزال معطلة..
- فالذي يحزنك أشغالك المعطلة وليس موت الزعروري؟؟ ومع ذلك فأنا أحبك رغم نذالتك التي ليست بحاجة إلى نفي أو إثبات، والحب ليس بحاجة إلى التعليل المنطقي.
- بل بسبب نذالتي ، ماذا لو طلبت من الزعروري قتلي ، هل كان سيستجيب؟؟
- أبدا لا يستجيب ، مشكلة الزعروري سلامة الصدر والوفاء والشهامة..وبصفة خاصة الاستماع إلى شيخه في القرية فهو يقول له عن أشياء لم تحدث بعد!!!!!.
- كل هذه لا تزعجك ..أو على الأقل لا تزعجك إلى الحد الذي يجعلك تطلبين موته.

- أهم شيء....شيخه ومحاولته الاستئثار بأبوة الطفل باستعمال الأفكار الدينية..كنت أتمنى لو تكون الأبوة مشتركة. أو تكون أنت أبا الطفل..
- أنت تعلمين أن ذلك مستحيل لأنك قبلت تقييدك في الوثائق الرسمية زوجة له.والمعروف أن المرأة لا يجوز في ثقافاتنا الشرقية أن يتزوجها رجلان..
- فلم يتزوج الرجل امرأتين؟؟؟
- لا تكفري يا صافي؟ دعي كل هذا وهيا بنا نحيي ليلتنا..
- أبدا ..أنت تريد أن تفرح وتحتفل بموت الزعروري،أما أنا فالحزن ينخر قلبي...لقد ندمت على طلبي قتله..ندمت ندمت..

ثم أجهشت بالبكاء..

- هوّني عليك يا حبيبتي!!!!ماذا لو قلت لك إن موت الزعروري غير مؤكد حتى الآن..رغم إعلانه في الصحافة والإذاعة..فقد أعلنت جماعة إرهابية..عن إعدام الزعروري..ولم يُعثر حتى الآن على جثته.
- وسائل إعلامكم تنشر أي شيء ولو كان غير مؤكد تتلاعب بالشعب المسكين..
- أنت تعلمين أن وسائل الإعلام عندنا مأجورة تنشر ما نمليه عليها، وكل ما في الأمر أني ظننت خبر موت الزعروري يفرحك. بحكم أنه نزول عند طلبك.
- أرجوك أن تتركني وحدي هذه الليلة أنت تلعب بأعصابي يا بوعلام ، ولم أعد قادرة على تحمل نذالتك.

ترك بوعلام السيدة صافي في غرفة الضيافة ، ثم جلس في الردهة ورمى نفسه على أريكة وراح يفكر ....

- ماذا تريد هذه المرأة كنت أخشى أن أزورها قبل قتل الزعروري فتوبخني وتعرض عنّي ، ولما عجزت عن تدبير قتله

لاختفائه بين القرية والجبل منذ مدة لفقت حكاية إعدامه من طرف جماعة إرهابية ،وعملت على نشرها في وسائل الإعلام حتى أزورها وقد والمهمة ناجزة حسب رغبتها، فإذا بها تقلب لي ظهر المجن..والله احترت ماذا عساي أفعل مع هذه المرأة.
ثم قام من مكانه ووضع معطفه على كتفيه .وقال في صوت يائس:

- Bye bye chérie!! Bonne nuit!!

تمهل قليلا كأنما ينتظر أن ترد عليه.. لكنها لم تفعل فأزلج الباب ثم صفقه صفقة عنيفة.

(18)

الزعروري.

Il faut hurler avec les loups si on veut courir avec eux (**Proverbe français)**

كان الزعروري واحدا من أولئك الذين اخلصوا للثورة والوطن، كما اخلصوا لدينهم وشيوخهم،لكنه وعند اندراجه في منظومة الحكم رأى ما يريبه وأخذ في التساؤل: مرة بين يدي شيخه ، وأخرى بين يدي سي بوعلام وسي قدور وسي مقران وغيرهم من القادة الذين تبوؤوا مراكز الريادة. لكن تساؤلاته لم تجد لها جوابا شافيا،بل كانت تجد سخرية خفيفة من سي بوعلام وصافي وغيرهما ،وحتى الشيخ عبد الودود كان يتهرب من أسئلته..ويحيله إلى رابح المهبول ولد حدي العقونة، وكانوا يصفونه بسلامة الصدر ، وانعدام الحنكة السياسية.

- حتى تمارس السياسة يجب أن تكون ذئبا ، وإلا أكلتك الذئاب...

كانت الجبال وأشجار الصنوبر تحيط به من كل ناحية ، كأنما تحميه من غدر الغادرين ، ومع ذلك عاش مع الذئاب دون أن يستطيع تقليدها أو يتعلم منها شيئا، وسواء في ذلك الذئاب الحيوانية أم الذئاب الآدمية..بقي سويلم الزعروري غريبا عن هذا العالم.

كان ذلك اليوم من أيام نوفمبر، اعتدل الخريف وأخذت الأمطار تتساقط ، وأصبح المخبأ الجبلي لا يقيه من البرد والرياح العاتية، كان ذلك اليوم بمثابة زلزال في طريقة تفكير سويلم الزعروري حين جاءه أحد أفراد العصابة المسلحة التي

نظمها وموّلها بالاشتراك مع صديق له كان قد انخرط في الجيش وبقي فيه وفي ظنه أن الوطن لا يزال مهددا حتى بعد رحيل أولاد بالأحمر، وان أولئك الأوغاد سيعودون في يوم من الأيام، فلا بد إذن من بقاءه على أهبة الاستعداد.لكنه فوجئ بتصفية بعض المخلصين الذين اختاروا عدم التنازل عن أسلحتهم ، ظنا منهم أن المتمرسين على القتال وفنونه ، هم الذين يجب أن يقودوا الجيش نحو الانضباط والقوة والتنظيم والمعارك القادمة إن وجدت، تصفية سي زوبير تمت بطريقة فيها الشيء الكثير من النذالة، وتهمة لا تزال راسخة في ذاكرة الأجيال بعد ترويج التهمة من وسائل الإعلام المأجورة،إن سي الزبير كان يسعى إلى بيع الوطن لجهة أجنبية ، وهناك من قال إنه كان يريد دويلة منفصلة عنصريا قائمة على قبيلة واحدة ، وجهة واحدة من جهات الوطن.

جاءه الجندي حاملا الجريدة وسلمه إياها وهو يقول لاهثا :

- لقد قتلك الأنذال ياسي زعروري فماذا عساك تفعل؟؟؟؟

على الصفحة الأولى صورته مكتوبا فوقها بالمانشيت العريض**Après l'enlèvement de M.Zaàrouri depuis 20 jours, un groupe terroriste annonce l'assassinat du Grand militant nationaliste.**

وتحت العنوان كلام كثير يشيد بالمناضل الكبير وأياديه البيضاء على الثورة والوطن.وإعلان جماعة إرهابية تسمي نفسها (جند الحق) عن إعدام الزعروري، وتشير إلى أنه كان مخطوفا منذ عشرين يوما ومحتجز لدى تلك الجماعة.

- مارأيك ياسي محمد؟

هكذا توجه بالسؤال إلى الضابط الكبير المنشق عن الجيش؟..

- أرى أن تموت فعلا تصديقا للخبر؟.

- معك حق ؟ هل يعقل أن نكذب الإعلام.إعلام الدولة صادق حتى لا نشكك المؤمنين في أعمال الملائكة .لكن كيف العمل حتى يتحقق موتي على أيدي الجماعة الإرهابية؟؟
- سلمني بطاقتك للتعريف وسأتكفل بالمهمة، هناك جثة مشوهة في قامتك ،سنقوم بإلباسها بدلة أنيقة وربطة عنق ، ونضع البطاقة وبعض الوثائق التي تخصك في جيب البدلة، ونضع الجثة في طريق دورية من دورياتهم.
- وسأكون متأكدا من أن سي بوعلام سيسعى جهده لتأكيد الخبر بل يسعى لتزوير تحليل الAdn حتى يقنع صافي بان المهمة تمت على أحسن ما يرام.
- أنظر كيف أتحول إلى شبح يقض مضاجعهم، ويهدد أركانهم.ويقوضها.

ادخل الزعروري يده في جيبه ، ثم وضعها على رأسه فاختفى.ترك سي محمد مسمرا في مكانه يبحث عنه وراء الشجرة القريبة منه والذهول يلجم فمه

****

(19)

عودة الشبح

القاتل والمقتول في النار ،قلت يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه (حديث شريف)

قرر الزعروري أن يتحدى ويفرض نفسه هاجسا لبوعلام ولصافي التي حسب ظنه قد أوعزت بقتله ويثبت عجز بوعلام أولا ، ولصافي ثانيا ولرجال بوعلام الذين أثبتوا عجزهم عن التعرف عن وجود الزعروري من عدمه.

وصل المدينة واقترب من حي الرؤوس الكبيرة ، وفيه بيته القديم أين تقيم صافي وعشيقها بوعلام، رأى بوعلام خارجا من الفيلا،بينما لم يتمكن من رؤيته ربما لأنه كان يضع فومة التراب على رأسه، فلا يتمكن من رؤيته إلا أهل الله وسي بوعلام ليس منهم بطبيعة الحال.

فتح الباب بالمفتاح الذي كان عنده من قبل، وولج الردهة وهتف:

- صافي...يا قاتلتي الجميلة..!!!!!

- ماذا ماذا أرى...ماذا أرى؟ الزعروري هل أنا في حلم أم في علم؟؟؟

كانت صافي مصدومة برؤية الزعروري ، ومرتبكة أشد الارتباك..بل خائفة ومرعوبة...

- لا تخشي شيئا يا حبيبتي فلن أقوم بقتلك فلا احد يستطيع قتلك وأنت تعرفين ذلك جيدا.أما أنا فلا أستطيع أن أقتل حبيبتي وأم ابني....لكني سأقتل ذلك النذل ولا بأس أن أقيم له جنازة مهيبة، سأمشي في جنازته وأدعو له بالمغفرة.

أنت لا تستطيعين أن تستقبليني لأنك لم تستقبلي ميتا من قبل ، سأسهر هذه الليلة عند جانيت،ومع ذلك أطلب منك أن يبقى أمر زيارتي سرا ، لا يفشى لأي احد ، سيزورك بوعلام مؤكدا لك الخبر، خبر موتي والعثور على جثتي، صدقيه إن شئت أو لا تصدقيه. إن صدقته فزيارتي لك اليوم بعد الموت تعد من العجائب فأنا شبح ، مع أني غير متأكد هل كل هذا الرعب الذي أراه في عينيك ،بسبب رؤيتك لرجل ميت يعود للحياة في صورة شبح ، أم خوف من الرجل الذي أمرت بقتله عسى أن يكون قد جاء منتقما؟

-أبدا..والله لقد ندمت أشد الندم ، وقد بكيت حين أخبرني بموتك، ثم إني لم أطلب منه قتلك ، بل طلبت منه التخلص منك وهناك فرق فالتخلص ليس بالضرورة أن يكون قتلا إلا في عرف بوعلام وجماعة الملائكة الذين يحيطون به وأنت منهم.

- لا عليك سأتخلص منه بطريقتنا نحن الملائكة ، ولو أني أعلنت خروجي عن صف الملائكة ، ورفضت السجود ، وها أنا والحمد لله أصبحت في صف الشياطين..ومع ذلك سأقوم بعمل ملائكي للمرة الأخيرة .

- أستحلفك بالله ألا تلطخ يديك بدمه، والله لم يكن موافقا على التخلص منك، لقد تعطلت كل مصالحه في غيابك.

- أبدا ....مازلت تحبين ذلك النذل؟؟؟.وأنا أقدر أن الحب لا يحتاج إلى مبرر عقلي فهو عاطفة جامحة في الغالب، ومع ذلك سأتنازل عن قتله في البداية –إكراما للجنين الذي في بطنك- وسيكون ذلك النذل آخر ضحية. لن اقتله غدا...وستقترحين عليّ الكبش الأول.فلن أعود إلى مرابع الجماعة إلا بغنيمة ثمينة.

- صحيح أن الأنذال الذين يستحقون القتل كثيرون ، لكنه ليس حلا نظيفا فهو يتطلب أيضا نوعا من النذالة فليس القاتل بأفضل من المقتول.
- ما رأيك في أن نبدأ بسي قدور؟؟
- !!!!!!!!!impossible.
- أعطني إشارة من يدك الذهبية ، وأعدك أن تسمعي نعيه غدا صباحا..
- وما فعل سي قدور؟؟ هل قرر قتلك هو الآخر؟؟؟
- لم يقرر قتلي ، لكنه قرر قتل الشعب جوعا بالتآمر عليه مع أعدائه من بني الأحمر، لم تعد قضيتي شخصية..لا شك أنك تعلمين أن سي قدور حول ثروة هائلة إلى ما وراء الغدير وامضى عقودا مع شركات أجنبية أقلها ضررا بيع ثرواتنا لمدة خمسين عاما ولا شك أن أولاد بالأحمر سيستنزفونها قبل هذه المدة ، ولن يتركوا شيئا للجنين الذي في بطنك..
-لكن من ذا يستطيع أن يصل إليه وهو داخل أكبر تجمع لكبار الضباط والعسكر..
- هذه لعبتي...أنت تعلمين أن هذه الفيلا مسورة بكثير من الحرس ومع ذلك فها أنا ذا..
- وبعد سي قدور سيكون سي مقران وبعدهما سي الزبير ولابد أن الدور سيصل إلى سي بوعلام آجلا أم عاجلا.
تقدم نحو الباب ووضع يده في جيبه وقربها من رأسه وقال وهو يفتح الباب :
-!!!!!!!!!bye bye chérie.

(20)

لكذب آمر أريس وزّيل

تستطيع ان تخدع بعض الناس بعض الوقت، ولكنك لا تستطيع أن تكذب على كل النا س كل الوقت : شيشرون

استيقظت صافي من النوم في وقت جد متأخر من جراء الأرق الذي أصابها الليلة البارحة بسبب زيارة الزعروري المفاجئة وحالة الرعب التي تملكتها من جراء هذه الزيارة، فهي تعرف جيدا أن الزعروري يستطيع بسهولة شديدة أن يعرف كل شيء عن المؤامرة التي يحيكها سي بوعلام للتخلص منه ، ويعرف المحرض الأول، وكانت تتوقع أن يقتلها انتقاما على الرغم من طيبته وسلامة صدره ، وإن كانت قد تستجمع قواها وتحاول إقناعه ببراءتها..لكن الزعروري الخبيث يعلم بدبيب النمل ويدرك الحوار الذي يجري في الخفاء بين المتآمرين..ومع ذلك فالزعروري أظهر طيبة أكثر مما كانت تتوقع وأعرب لها من البداية أنه لا يمكن أن ينتقم منها بل أخبرها بضحاياه القادمين أبرزهم سي بوعلام.وصلت الحمام لكنها ما تزال بحاجة إلى شيء من الراحة والتمدد على الفراش ،بسبب الإرهاق الشديد، فتحت الراديو، فأصيبت بالذهول:

-انتقل إلى جوار ربه المناضل الكبير سي قدور، وهو الاسم الثوري للشخصية الوطنية المرموقة قبل وبعد الاستقلال :محمد

بوجربوع. إثر حادث مرور أليم أودى بحياته ، وقد أبرق الزعيم الأول إلى عائلة الفقيد والأسرة الثورية برسالة يعبر له فيها عن أحر تعازيه ويقول إن الوطن خسر رجلا من خيرة الرجال الذين عرفوا بالتفاني في حب الوطن والتضحية في سبيله ونكران الذات.

أغلقت الراديو وراحت تفكر:

هل نفذ الزعروري تهديده ؟ الخبر لم يقل إنه قتل أو اغتيل، حادث مرور هل هو مجرد صدفة غريبة؟؟ إنها تكاد تجنّ..من فرط التفكير والهواجس. المنطق يقول إن للزعروري يدا طولى في هذا القتل سواء بحادث مرور،أو بغيره، ومن يضع الثقة في الإعلام المأجور؟؟ كثيرا ما كانوا يخبرون بشيء وهم يعلمون علم اليقين أنهم يكذبون لتجنب المساءلة.أو لأنهم يكتبون ما يملى عليهم.

لابد من إخبار سي بوعلام حتى يحترس على نفسه ، لكن هل يحتمل الأمر إن ننتظر مقتل سي أمقران وسي الزبير...أبدا لقد أمرها بالتستر على الجرائم المستقبلية ، فماذا لو أخبرت بوعلام هل سيعلم الزعروري؟ وما لو علم بأنها غدرت به مرة ثانية ؟؟ شعرت برعب شديد ...الموت آت لا محالة...سواء من الزعروري أو من بوعلام نفسه لو علم أن الزعروري زارها وتكتمت عن الزيارة وما ورد فيها من معلومات.

فكرت أن عداءها للزعروري كان حمقا كبيرا لقد حولته إلى إرهابي ولا بد أن يأتي دورها وتحصد ما زرعته، ولم يكن لهذا العداء مبرر سوى أنها تحب النذل سي بوعلام.

سمعت طرقا خفيفا بالباب ، تملكها رعب شديد ، ياإلهي !! هل هو الزعروري مرة أخرى !! ترددت في التوجه إلى الباب.. لكن الباب ينفتح ويدخل سي بوعلام:

- أيو ذم نا لويز!!!امك موقن لحوال ألنون؟؟؟
- تيفاوين!!
- أعييغ سق ورفان
- ذا شوتس؟؟
- أقلين دقوا خام وحذي!!!!..الزهر يويعقر!!!
- آكميد أقراع... الزعروري ماث.

ثم أخرج الجريدة من جيب معطفه وقدمها إلى صافي،لكنها صرخت في وجهه قائلة:

- سوسم!!!أجيك سي لكذب
- كذب؟؟؟؟؟
- أور سيكيدو يويوين ..الزعروري كان عندي البارحة ، وبقي حوالي نصف ساعة ، وأخبرني بأنه سيقتلك، لكني توسلت إليه ألا يفعل فقبل تأجيل الأمر فقط، ثم أخبرني بأنه سيبدأ بسي قدور ثم سي أمقران بعد ذلك وسيأتي إليك الدور لا محالة. سي قدور مات هذا الصباح بفعل حادث مرور أليم كما يقول إعلامكم.

وقف مشدوها ، تملكه الرعب..كيف استطاع أن يصل إلى هنا دون أن يتم القبض عليه؟ أين كان الحراس؟

- أنا كنت أعرف انه لم يمت بعد، وأنه سيحاول الاقتراب منك، لذلك أصدرت أوامر لجميع الحرص أن يقبضوا عليه حيثما ظهر. ولو بإطلاق النار إن حاول الإفلات.
- السؤال المحير لم تكذبون على الشعب؟ لم تدعون أن سي قدور مات نتيجة حادث مرور..

- مقتضيات أمنية يا عزيزتي..ما كان يخطر ببالهم أبدا أن الزعروري هو من دبر العملية أو نفذها لأنه لا يوجد أي خلاف بينهما.
- الزعروري قال إن المسألة لم تعد شخصية..ووعد ألا يقتلني رغم كل شيء ...لكني مرعوبة أيها النذل...لا تستطيع أن تفعل شيئا إلا التلاعب بمشاعري وتعزف على أوتار أعصابي..
- سنخبر سي مقران بعزم الزعروري على قتله حتى يحترس على نفسه ، ويحاول حراسه القبض على الزعروري .
- ماذا ستقولون للشعب عن مقتل سي مقران ،وسي الزبير وسي عبد الله والقائمة الطويلة، حوادث مرور كلها؟؟ ألا تتصورون أن الشعب لا يثق فيكم ولا في أخباركم..
- لن يحدث ما تتصورينه بعقلك القاصر..سيتم القضاء على الزعروري في أسرع مما تتصورين.

(21)

من أشعل النيران؟.

Les hommes ne viennent pas de Mars et les femmes ne viennent pas de Venus : John Gray...

القاعة فسيحة الأرجاء ،المقاعد والأرائك منتظمة في صفوف مرتبة، والمنصة الخشبية المزدانة بالألوان الوطنية والزهور، ويافطة طويلة كتب عليها بخط جميل :الإرهاب لا دين له. وأخرى كتب عليها بخط بارز المثقفون ضد الإرهاب، يبدو أن حركة الصحفيين الذي كلفوا بتغطية المؤتمر أكثر بكثير من حركة المسؤولين الذين يؤطرونه. في المقاعد الخلفية.مجموعة من قادة الأحزاب والجمعيات الذين جيء بهم لإلقاء الكلمات الرنانة التي لا يتقنها المسؤولون.

بعد أن حضر بعض المسؤولين حضورا شكليا للافتتاح ، ثم استأذنوا بالانصراف لكثرة انشغالاتهم، أخذت الخطب الرنانة ، الجاهزة مسبقا تتوالى:

- إن شعبنا الذي خرج من أزمات أشد ، انتصر على أعتا قوى الشر في العالم ، سيخرج منتصرا لا محالة بفضل عزيمته القوية واللحمة القوية بين أبناء الوطن.

وتتوالى علب السردين ، كل يزوق علبته بالألوان التي تروق له،ويتلقى التصفيقات فيما يشبه الحفل الفولكلوري الاستعراضي، ويبتهج الخطيب بما دبج من خطبة عصماء وبالتصفيقات الحارة ، ويتلقى التهاني من المجاملين والمنافقين والمتزلفين...

أما في الداخل، فلا وجود للخطب، فالأمر جدي لا محالة، يترأس سي بوعلام اجتماعا يضم قائمة طويلة عريضة من الرجال الكبار الذين لم تصلهم بعد يد الزعروري.

- قتل سي قدور ، وبعده سي مقران ثم سي الزبير، ونحن نتفرج ولم نستطع أن نفعل أي شيء لإنقاذهم ، ولا شك أن الدور واصل إليكم واحدا واحدا لا محالة، لا بد من حقن الدماء.
- لقد داهمنا أوكار الإرهابيين في الجبال وفي المغاور وقتلنا منهم الكثير،ومع ذلك تواصلت الاغتيالات في صفوفنا، دعوناهم إلى التوبة وتسليم السلاح مقابل العفو عنهم ، وفشلت العملية،
- لا بد من التفكير في حل آخر، وإلا فالسفينة غارقة لا محالة والجميع على متنها.
- تدخل سي بوعلام ، أنصت الجميع:
- يا جماعة ، كان القتل عشوائيا يطال مواطنين أبرياء ومجاهدين ورؤساء الأحزاب الذين يزعمون أنهم ضد الإرهاب،و الصحفيين والشرطة ، وبعض الضباط السابقين الذين تقاعدوا منذ مدة ، ونادرا ما كان يطال صفوفنا. هذا قبل انشقاق الزعروري.
- من الذي تسبب في انشقاق الزعروري؟؟ ألست أنت الذي طالبت بتصفيته؟؟.
- الهدوء من فضلكم !!

هكذا صاح سي بوعلام بعد جلبة وضوضاء انتابت القاعة بعد أن تدخل أحد كبار الضباط، متهما بوعلام بأنه سبب انشقاق الزعروري. طرق سي بوعلام الطاولة بعنف، وهتف مرة ثانية:

- هدوء من فضلكم !!!.
- يا سيدي أمن الوطن مهمة جسيمة وأمانة عظيمة تتطلب شيئا من السرية والتكتم الأمر كان يقضي بتصفيته ،لكن الأمر الآن يختلف ، لابد من العثور عليه أولا والتفاوض معه. إن كان يريد منصبا نصبناه وإن كان يريد مالا حولنا له من الخزينة العمومية ما يرضيه .
- إن من أشعل النيران يطفئها...هات الزعروري أولا وسنعمل على إرضائه.
- من الذي يضمن لي إن أبقى حيا إلى أن تتفاهموا مع الزعروري..
- لكل أجل كتاب يا سي عمار ، ليلة قبرك لا يمكن أن تبيت خارجه!!
- هذا كلامك أم كلام الزعروري.. أنا مرعوب بكل صراحة ...سأسافر إلى ما وراء الغدير وسوف أعود حين تهدأ العاصفة...
- هناك شخص يعرف الزعروري أكثر من أي شخص آخر، وهو الوحيد الذي يدلنا على طريقه.
- من هذا الشخص ياسيدي!!!
- أنت تعرف جيدا يا سي بوعلام ، الشخص الذي يربط بينه وبين الزعروري عقد مكتوب...
- دع النساء في بيوتهن ، وتحدث مع الرجال..
- الرجال لم يجدوا الحل فلندع المرأة لعلها تجده
- بل تريد أن تتستر على الأمر كعادتك..دع الأمر حتى يصلك الدور، وتلحق بالجماعة .صافي ليست مثل سائر النساء، إنها تأمر وتنهى وتمتلك ملفات جد هامة وأنت تعرف ذلك...
- أنا أدعو صافي لكن لا أرغمها على الحضور إن هي رفضت.

- اشرح لها الأمر،كما هو وإذا كانت تمانع نختار بعض العناصر المؤثرة ويتحول الاجتماع إلى بيت صافي.

الخروج من الجنة

ظهرت كواكب السماء، وقد سقط احدها
إلي لقد حاولت ان أرفعه لكنه ثقل علي .
من ملحمة جلجامش

أعياهم الذهاب الإياب في هذه الطريق المتعرجة ،لم تكن معبدة بشكل جيد ، لذلك كانت السيارات الفارهة رباعية الدفع ترتج على الطريق رجات عنيفة، هناك إهمال كبير للمناطق الريفية هذه الأرياف مطلوب أن تنتج لنا أهم شيء في الحياة : الغذاء.

لكنهم لا يعتمدون على الخضر الريفية إنما على خضر أخرى من وراء الغدير، وهذا هو سبب الإهمال.

سي بوعلام ، وسي عمار والضابط الكبير،ذهبوا أكثر من مرة إلى الشيخ عبد الودود.بعد أن اشارت عليهم صافي أن لا احد يملك زمام الزعروري إلا الشيخ الدرويش الذي يقيم زاوية في القرية الجبلية. لقد بنى الزعروري زاوية ومدرسة قرآنية للشيخ في محاولة كسب رضاه ، ولعل رضا الشيخ هو الذي جعل الزعروري يقوى إلى هذا الحد، وينشق عن ثورة الملائكة ، ويؤسس لثورة الشياطين.

- كان جواب الشيخ كل مرة :
- إدا صدقتموني القول أحاول أن حضره لكم هنا لتتفاهموا معه وجها لوجه أما إذا أصررتم على الإنكار فإنه منكم وليس مني.

- لم انشق الزعروري؟ والحال أنه مستفيد مثلكم وكانت له كل الامتيازات ، والمنح والعملة الصعبة والسهلة، وكان له منصب عال هل كان يطمع مثلا إلى منصب أعلى ومنعتموه عنه؟
- ربما يا مولانا ...لكننا مستعدون أن نبوأه أعلى منصب في الدولة شريطة حقن الدماء.
- اعلموا أن الزعروري تلميذ فاشل من تلاميذي ، بل هو أشدهم فشلا على الإطلاق..ولم يتعلم من العلم إلا ما يضره..لذا فهو منكم وليس مني. أدعو الله لكم بالهداية..والسلام عليكم.

ثم يدخل تكيته ويغلق الباب على نفسه ويتركهم يضربون أخماسا في أسداس ثم ينصرفون.

يتشاورون مع صافي ، ماذا يريد الشيخ عبد الودود،بسؤاله المكرر الذي أصبح مملا مقرفا؟؟ لم انشق الزعروري؟؟؟؟؟

- لم انشق الزعروري؟؟
- لماذا خرج الزعروري من جنة الملائكة يابوعلام؟؟؟
- لم انشق الزعروري يا صافي؟؟؟ الجواب منكما؟؟؟ والشيخ يعرف الجواب لذلك لم يرد أن يتجاوب معنا لأننا كنا نريد أن نستغله ولا نريد أن نحكّمه بيننا، عصابة بهذا المزايا الخبيثة لا تساوي شرو نقير أمام حكمة الشيخ عبد الودود..
- نريد أن نحل مشكلة بلد كامل في حجم وطننا ولا نستطيع أن نكون صادقين حتى مع أنفسنا؟؟
- لم اعد قادرا على الذهاب إلى الشيخ إلا إذا أيقنت أننا لن نكذب عليه.

كان الدور يقترب من سي بوعلام بعد أن طال كل أعضاء العصابة الذين يعرفهم الزعروري حق المعرفة وكان يتعامل معهم قبل أن يقرأ سورة الانشقاق!!!!.شدد الحراسة على

نفسه ، لكنه كان يموت من شدة الرعب عدة مرات في اليوم والليلة..وأخيرا قرر أن يستسلم.

ازول.

أزول آشو ييكيد ييوين..أقجون أحييلي.

ثولاوين..يكسغد آس يرزم ،خلعد سيغير ذم.§

هكذا دخل ذات صباح على صافي ، يستجديها أن تذهب معهم إلى القرية ، يصارح الشيخ بالحقيقة ، لن القائمة التي بيد الزعروري توشك أن تنفد، ولم يعد بإمكانه أن يحصن نفسه ، بعد أن رأى الموت بعينيه ، عدة مرات.

إن الزعروري لا بد أن يقتلها إن لم يجد من يقتل بعد نفاد القائمة، ولا نصدق أن رجلا مثل الزعروري في إيمانه وتقواه سيقتل الناس عشوائيا بلا مبرر، وما دامت تعلم أنها هي التي فصلت الأمر بالدعوة إلى التخلص منه فلابد أن تتوقع أن يصل إليها الدور.

- بينك وبين الموت هذا الجنين ، الذي سيأتي إلى الدنيا ليجد أما مقتولة وأبا منشقا يعيش في الجبال مع الذئاب .
- والعمل يا بوعلام أنا مرعوبة ، وأموت ففي اليوم عدة مرات كلما تحرك قفل الباب توقعت أن الزعروري قادم للتخلص مني.
- الاعتراف بالحقيقة المرّة لدى الشيخ.
- نقول له إنك السبب في كل هذه الأزمة.وأنت التي حرضت على قتل الزعروري فثأر لنفسه.

♣ - ماترجمته:السلام- السلام – ما الذي جاء بك أيها الكلب الماكر. – أنتم النساء تمتطقن بالأفاع وتتخللن بالعقارب

- بل إنه ادعى أبوة الولد بحجة الورقة ورقة عقد الزواج ، وهي لا تعطيه الحق الكامل طالما أن له شريكا في الفراش هو الزوج الحقيقي.
- نعم هذه هي الحقيقة المرة التي كان يجب أن تقال.
- صعب جدا أن تعترف امرأة لشيخ من شيوخ الدين إنها تعاشر رجلين في آن معا، واحد بالورق وآخر بعقد شفاهي بينهما ، يسميه بعضهم بالعشق الممنوع، ويسميه بعضهم بأسماء متنوعة لكن المعنى واحد في كل الأحوال. هو أن الولد لا يمكن أن ينتسب لأي منهما على سبيل الحقيقة لا على سبيل المجاز.

بعد أن وعد الشيخ باستدعاء الرجل الثائر المدعو سويلم الزعروري، للاعتراف بما نسب إليه. أمر بالتفريق بينهما ووضعهما في الحجز إلى حين حضور الزعروري.

وحين جاء الزعروري أطلق الشيخ دخانه الكثيف،وطلب من الأرواح أن تكون شاهدة على عقد جديد،يتم بموجبه تحريم زواج كل من الزعروري وسي بوعلام من صافي، ونسبة إلى الجنين إلى صافي وحدها ، لتحل الأمومة محل الأبوة،وعجن خبز الشعير وفتله بزيت الزيتون وطلب من صافي أن تضعه على ثدييها ليضارع الأخ أخاه ،ويأكلان مثلما فعلت الكاهنة مع ابنها وخالد بن يزيد العبسي، وتستبدل العلاقة إلى بنوة وأمومة، وتحرم الأم على ابنها مثلما حرمت صافي على الأخوين. وهكذا تمت المصالحة ، لكن لم يستطع الرجلان العدوان اللدودان فهم العلاقة الجديدة بين صافي والشيخ ، هل إن الشيخ عبد الودود اشتهى الاستئثار بصافي لنفسه،أو أن صافي هي التي رفضت أن يقتصر دورها في المستقبل على الأمومة فرغبت في الشيخ عبد الودود زوجا لها. لا شيء

يدل على أي من هذا أو ذاك،ومع ذلك فقد نظر الشيخ إلى صافي نظرة غامضة وقال لها:

- يا ساحرة الرجال!!!
- أنت الذي سحرت الدنيا ، أخرجت الملائكة من الجنة،ورفست جميع الفاتنات بقدميك.
- إلا أنت...الفاتنة الوحيدة ..الذي لا أستطيع إلا أن أضمها إلى صدري أو أنضم إلى صدرها..
- حذار فلن أرضعك..

ثم تحول كل منهما عن الآخر مبتسما ، في دهشة وذهول من سي بوعلام والزعروري.

فهل يسلمان للأمر الواقع ويرضيان بالخروج من الجنة. أم ينقلان المواجهة إلى الشيخ نفسه؟

انتهت في الوادي 21/ماي 2015